(٧)
المرأة ودورها في الحياة

الخطبة الأولى :

أما بعد ، فيا أيها الإخوة المسلمون :

شهدت قطر في الأيام الماضية ندوةً عالميةً عن المرأة ودورها في السياسة والتنمية . ومن حقِّ المرأة بعد أن تعلَّمت وعلَّمت أن يكون لها دورها في السياسة ، وفي تنمية البلاد ، وفي مجالات الأنشطة المختلفة . فقد تعلَّمت المرأة كما تعلَّم أخوها الرجل ، بل تفوَّقت عليه في كثير من الأحيان ، في الشهادات الثانوية نجد الفتاة تحصد المراتب الأولى من مراتب المتفوِّقين ، وفي جامعة قطر وجدنا الطالبات أكثر عددًا ، وأشدُّ حرصًا على التعلُّم ، وأكثر تفوُّقًا .

حقُّ المرأة في المشاركة في الحياة العامَّة :

ومن هنا كان من حقِّ المرأة أن يكون لها دورُها في الحياة العامة ، وهذا لا يمنع منه الإسلام . بل الإسلام يُرحِّب بأن تكون المرأة إلى جانب شقيقها الرجل في مناشط الحياة العامة ، ما دامت ملتزمة بالضوابط الشرعيّة .

القرآن الكريم يقول : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (التوبة:٧١) ، في مقابل قوله : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (التوبة:٦٧) . فإذا كان شأن مجتمع المنافقين : أن المنافقات بجوارهم ، يأمرون جميعًا بالمنكر ، وينهون عن المعروف . فمجتمع المؤمنين : المؤمنات بجوار المؤمنين ، والجميع يقومون بدور واحد هو الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة دين الله في الأرض .

OBEIKAN.COM

النبي ﷺ يقول : «النساء شقائق الرجال»[1] . فالمرأة شقيقة الرجل ، والقرآن الكريم يقول : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران:١٩٥) ، أي : المرأة من الرجل ، والرجل من المرأة ، هو يُكمِّلها وهي تكمِّله ، لا يستغني الرجل عن المرأة ، ولا تستغني المرأة عن الرجل ، هذا ما يُقرِّره القرآن . فليس هناك خصومة ولا عداوة بين الرجل والمرأة ، كما تُصوِّر ذلك بعض الفلسفات والديانات ، لا ، ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران:١٩٥) .

دور المرأة في عصر النبوة :

ومَن ينظر إلى المرأة في عصر النبوَّة ، يجد أن المرأة وقفت مع الرجل من أول يوم ، فأول صوت ارتفع بتأييد دعوة محمد ﷺ ، لم يكن صوت رجل ، بل كان صوت امرأة ، إنه صوت زوجه خديجة رضي الله عنها . وأول دم أُريق في الإسلام ، أول شهيد في تاريخ الإسلام ، لم يكن رجلاً ، بل كان امرأة : سميَّة (أم عمار) وزوج ياسر رضي الله عنهم جميعًا .

كان للمرأة دورها منذ بداية التاريخ الإسلاميّ ، شاركت المرأة في نصرة الدعوة الإسلاميّة ، وشاركت في بناء الحضارة الإسلاميّة .

المرأة هاجرت مع زوجها إلى الحبشة . كانت أسماء بنت عُمَيْس مع زوجها جعفر بن أبي طالب في الحبشة ، وظلّوا هناك حتى جاؤوا في السنة السابعة للهجرة من الحبشة إلى المدينة .

كانت المرأة ممّن بايع النبي ﷺ بيعة العقبة قبل الهجرة مع الأوس والخزرج . وكانت المرأة ـ بعد الهجرة ـ ممّن قاتل مع رسول الله ﷺ في الغزوات ، حتى

---

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥) ، وقال مخرجوه : حديث حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الله وهو ابن عمر (بن حفص بن عاصم بن عمر) العمري ، وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، وابن ماجه (٦١٢)، ثلاثتهم في الطهارة ، عن عائشة ، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (١٩٨٣) .

OBEIKAN.COM

ترجم الإمام البخاريّ في صحيحه (باب غزو النّساء وقتالهنّ) ، وذكر أمّهات المؤمنين والصحابيّات اللّائي شاركن في غزوات النبي ﷺ .

وَمَنْ منا لا يذكر نَسيبة بنت كعب (أم عمارة) الأنصارية ، وقتالها في غزوة أُحُد ، وأنَّ النبيَّ ﷺ قال : « ما التفتُّ يمينًا وشمالاً إلا وأراها تقاتل دوني »[1]؟!

المرأة كان لها دورها في عهد النبوَّة ، ونزل القرآن في عدَّة سور ليتحدَّث عن المرأة ، وبعض السور أسماؤها تحمل اسم المرأة أو وصفها ، فهناك سورة (مريم)، وهناك سورة (المجادلة) : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (المجادلة:١) .

وقد رأى بعض الصحابة امرأة تسير مع عمر وتطيل الكلام معه ، فاعترض رجل وقال : يا أمير المؤمنين ، حبست رجالات قريش على هذه العجوز؟ قال : ويحك أتدري مَن هذه ؟ قال : لا . قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبعِ سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ، ما انصرفت حتى تقضي حاجتها[2]. ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (المجادلة:١).

هناك سورة (الممتحنة) : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ (الممتحنة:١٠) ، وفي هذه السورة نفسها بيعة النساء للنبي ﷺ في يوم الفتح : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الممتحنة:١٢) .

---

(١) ابن سعد في الطبقات (٨/٤١٥) ، والإصابة في تمييز الصحابة (٨/٢٦٦) .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (١٨٨٤١) ، وقال الذهبي في العلو : هذا إسناد صالح فيه انقطاع ، أبو يزيد لم يلحق عمر (١٦٩) .

كان للمرأة دورها في الحياة الإسلامية .

تراجع دور المرأة في الحياة الإسلامية :

ثمّ جاء دور التراجع ، تَرَاجَعَ دور المرأة مع تراجع الحضارة الإسلامية وتخلُّف المسلمين ، وشاعت أحاديث موضوعة مثل : « لا تعلِّموهنَّ الكتابة »[1] ، ومثل : « شاوروهنَّ وخالفوهنَّ »[2] ، ومثل : « دفن البنات من المكرمات »[3] . . . إلخ[4].

وشاعت كذلك فتاوى متشدِّدة منعت المرأة أن تذهب إلى المسجد للصلاة! في الأول أجازوا للمرأة الكبيرة في السنِّ أن تذهب إلى المسجد ، ثم جاء المتأخِّرون من الفقهاء وقالوا : لا ، حتى المرأة العجوز لا يجوز أن تذهب إلى المسجد ، كما يقول الشاعر :

لكلِّ ساقطة في الحيِّ لاقطة وكلُّ كاسدة يومًا لها سوق!

المرأة العجوز لها رجل (شايب) ينظر إليها ، فمنعًا للفتنة ـ كما قالوا ـ منعوا النساء من الذهاب إلى المساجد! وحُرِمت المرأة من الذهاب إلى المساجد في أكثر البلاد الإسلامية .

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٧١٣) ، والحاكم في التفسير (٣٩٦/٢) ، وصحح إسناده ، وقال الذهبي : بل موضوع وآفته عبد الوهاب ، قال أبو حاتم : كذاب ، والبيهقي في الشعب باب تعظيم القرآن (٢٤٥٣) .

(٢) قال السخاوي المقاصد الحسنة : لم أره مرفوعا . . . وقد استشار النبي ﷺ أم سلمة كما في قصة صلح الحديبية ،وصار دليلاً لجواز استشارة المرأة الفاضلة لفضل أم سلمة ووفور عقلها (٥٨٥) . وقال الألباني في السلسلة الضعيفة : لا أصل له (٤٣٠) .

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٣٦٦/١١) ، والأوسط (٢٢٦٣) ، وأبو نُعيم في الحلية (٢٠٩/٥) ، وابن الجوزي في الموضوعات (٢٣٦/٣) ، وقال : هذا الحديث لا يصح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقال (بعد أن ذكر عدة روايات للحديث) : وسمعت شيخنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطى يحلف بالله عزوجل : أنه ما قال رسول الله ﷺ من هذا شيئا قط ، وأقرّه الذهبي في تلخيص الموضوعات (٩٣٥) ، والألباني في الضعيفة (١٨٦).

(٤) مثل أحاديث : « طاعة المرأة ندامة » ، « هلكت الرجال حين أطاعت النساء فإن في خلافهنَّ البركة » ، « للمرأة ستران : القبر والزوج » ، « نعم الصهر القبر » ، « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب بين مائة غراب » .

OBEIKAN.COM

قد سمعنا أنَّ في السودان بعض النساء يعشن ويمتن ولا يركعن لله ركعة ، لماذا؟ لأنهُنَّ لم يَجِدْنَ مَن يُعلِّمهنَّ .

حجة المانعين للمرأة من الحضور إلى المسجد :

الفقهاء الذين منعوا المرأة من المسجد قالوا : على أبيها أن يُفقِّهها في الدين ، أو على زوجها أن يُعلِّمها الدين ، ولكن الزوج لم يُعلَّم ، والأب لم يُفقَّه ، لأن الأب ـ أو الزوج ـ نفسه كان يحتاج إلى مَن يعلِّمه ويفقهه ، وفاقدُ الشيء لا يعطيه ، وقد ضلَّ مَن كانت العميان تهديه .

حُرمت المرأة من العبادة ، ومن العلم .

ذهبتُ إلى بعض البلاد الإسلامية ـ في الهند وباكستان وبنغلادش ـ وحاضرتُ الرجال في المساجد ، ولم أجد امرأة واحدة ، فقلتُ لهم : أين النساء؟ قالوا : المذهب الحنفيُّ يمنع وصول المرأة إلى المسجد! قلتُ : هذه فتوى قديمة ، المرأة الآن ذهبت إلى المدرسة ، وإلى الجامعة ، وإلى السوق ، وسافرت في الطائرات ، فلماذا تُمنع من المسجد وحده؟ الفقهاء قالوا : على الأب أن يُعلِّمها ، هل حينما ستعود إلى بيتك ستقصُّ عليها هذه المحاضرة التي سمعتَها ؟ قال أحدهم : لا . قلتُ : فلماذا تحرمونهنَّ؟ أبو حنيفة هذا هو الذي أجاز للمرأة أن تكون قاضية في غير المسائل الجنائية ، وأبو حنيفة هو الذي أجاز للمرأة أن تُزوِّج نفسها من كفء ولو بغير إذن وليِّها ، فلماذا تتركون هذا ، وتأخذون هذا الجانب المتشدِّد من المذهب ، الذي قيل في زمن معيَّن؟ ينبغي أن يتغيَّر إذا تغيَّر الزمن ، فالفتوى تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان والحال .

هكذا رأينا المسلمين في عصرنا ، مع أن المرأة في عصر النبوَّة كانت تذهب إلى المسجد في الصَّلوات الخمس ، وفي صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولم يكن الطريق مرصوفًا ولا مُضاءً ، وقال النبي ﷺ : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »[1] . يعني إذا خرجت المرأة تريد أن تذهب إلى المسجد للصلاة ، أو لدرس العلم ، أو لموعظة ، فلا يجوز لزوجها بحال أن يمنعها .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الجمعة (٩٠٠) ، ومسلم في الصلاة (٤٤٢) ، كما رواه أحمد (٤٦٥٥) ، وأبو داود في الصلاة (٥٦٦) ، وابن ماجه في المقدمة (١٦) ، عن ابن عمر .

OBEIKAN.COM

تقاليد غريبة عن الإسلام :

شيوع هذه الفتاوى ، وشيوع تقاليد غريبة عن الإسلام في كثير من المجتمعات ، حتى إنَّ الرجل ليستنكف ويخجل أن يذكر اسم امرأته ! كأنَّ اسم المرأة عيب ، أو عورة . يقول : الجماعة ، العيال ، الأولاد ، الأهل ، الزوجة ! ونحن نقرأ : عن عائشة بنت أبي بكر ، وعن حفصة بنت عمر ، عن ميمونة بنت الحارث ، رضي الله عنهنَّ ، ولا حرج في ذلك ، ونعرف أسماء بنات النبي ، وزوجاته ، وعمَّاته ، وأمه . بل بعضهم إذا ذكر اسم المرأة يقول : أعزَّك الله ، كأنَّ اسم المرأة نجس أو رِجْس من عمل الشيطان! هذا ما أنزل الله به من سلطان .

ضياع قضية المرأة بين الإفراط والتفريط :

إنَّ قضيَّة المرأة ضاعت بين الإفراط والتفريط ، ككثير من قضايانا الفكرية والاجتماعية الكبرى ، أضاعها الغلوُّ والإفراط من ناحية ، وأضاعها التسيُّب والتفريط من ناحية أخرى .

ومن قديم اختلف الفلاسفة والحكماء والشعراء في قضيَّة المرأة ، حتى قال بعض الحكماء : المرأة شرٌّ كلُّها ، وشرُّ ما فيها أنه لا بدَّ منها[1]! والعجيب أنَّ بعضهم ينسب هذا إلى عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه . قلتُ له : هل يقول هذا عليُّ ابن أبي طالب عن زوجته (فاطمة الزهراء) سيِّدة نساء العالمين؟ أو عن بناته أم كلثوم وزينب وفاطمة؟ مستحيل أن يقول ذلك ، فهذا ضدُّ القرآن ، وضدُّ السنَّة .

أحد الشعراء يقول :

إنَّ النساء شياطين خُلقْن لنا ... نعوذُ بالله من شرِّ الشياطين

فهنَّ أصل البليات التي ظهرت ... بين البرية في الدنيا وفي الدين

وردَّ عليه الآخر بقوله :

إنَّ النساء رياحين خُلقْن لنا ... وكلُّنا يشتهي شمَّ الرياحين

قلتُ لمَن قال ذلك : أنا أعارض الشاعرين ، أعارض الأول والثّاني ، فالنساء رياحين ، ولكنها لم تُخلق لنا ، ما معنى أنَّ المرأة خُلقت للرجل ؟ المرأة خُلقت

---

(١) مستحيل أن يخلق الله شرًّا كاملاً (القرضاوي) ، انظر كتاب الشيخ القرضاوي : فتاوى معاصرة (٤٢١/١ - ٤٢٥) ، طبعة دار القلم ، الكويت .

OBEIKAN.COM

لنفسها ؛ لتقوم برسالة كما يقوم الرجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(الذاريات:٥٦) ، رجالاً ونساء . فالمرأة لم تخُلق للذَّة الرجل ، أو لخدمة الرجل . بل الفقهاء يقولون : إنَّ المرأة لا يجب عليها خدمة زوجها . معظم فقهاء المذاهب الأربعة يقولون : تتفضَّل هي على زوجها فتخدمه ، فذلك من مكارم أخلاقها ، ومن العشرة بالمعروف .

والشاعر الآخر يقول :

كُتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيول[1]

مشاركة النساء في الجهاد :

لكنَّ النساء في عصر النبي عليه الصلاة والسلام قاتلن وقُتلن ، والقرآن يقول : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (آل عمران:١٩٥) ، وهذا من الفريقين ، من الجنسين ، لأنه قال : ﴿ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ ﴾ (آل عمران:١٩٥) ، أي : من الرجال والنّساء جميعًا .

فهذا الذي قاله الشاعر أمر مرفوض .

ويقول الآخر ، وقد تولَّت إحدى النساء منصب الكتابة في الدولة :

ما للنساء وللكتابة والعمالة والخطابة؟
هذا لنا ولهن منا أن يبتن على جنابة[2]

النظرة الدونيَّة للمرأة :

هذا ينظر نظرة دُونيَّة للمرأة ، كأنَّ المرأة خُلقت للشهوة والغريزة فقط . لا ، الشهوة والغريزة مشتركة بين الرجل والمرأة ، القرآن يقول : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (البقرة:١٨٧) ، فلماذا يقال هذا عن النساء ؟

---

(١) من شعر عمر بن أبي ربيعة .
(٢) من شعر البسامي .

OBEIKAN.COM

شاعت نظرة دُونيَّة مؤسفة عن المرأة في كثير من البلاد ، وظهرت في تفاسير بعض المفسرين ، وفي أقوال بعض الفقهاء ، وهذه النظرة ليست من الإسلام في شيء .

ما يريده المُفَرِّطون من المرأة :

ضاعت قضية المرأة بين المُفرِطين والمُفرِّطين[1] .

هناك المفرِّطون الذين أرادوا من المرأة المسلمة أن تتَّبع المرأة الغربية شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع . لا يريدون لها أن تحتفظ بشخصيَّتها الإسلاميّة ، بقِيَمها ، بشريعتها ، بضوابطها ، وإنما يريدون لها أن تَتَسيَّب ، وأن تخرج كاسيةً عاريةً ، كما قال النبيُّ ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس . ونساء كاسيات عاريات ، مُميلات مائلات ، رؤوسهنَ كأسنمة البُخْت المائلة ـ كأنما يصوِّر هؤلاء اللائي يلبسن الباروكات ـ لا يدخلنَ الجنَّة ، ولا يَجِدْن ريحَها ، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »[2]

هذا صنف المفرِّطين .

ما يُرِيده المُفْرِطون من المرأة :

وصنف آخر ـ وهم المُفرِطون ـ يريد أن تَظلَّ المرأة حبيسة البيت لا تخرج منه ، حتى إن بعضهم قال ، ويا لهول ما قال : إنَّ المرأة الصالحة لا تخرج من بيتها إلا مرتين : مرَّة من بيت أبيها إلى بيت زوجها ، والأخرى من بيت زوجها إلى قبرها !

هذا عجيب ، مع أنَّ القرآن يجعل الإمساك في البيوت والحبس فيها عقوبة للمرأة الزانية ، كانت عقوبة في أول الإسلام ، حتى شُرعت الحدود ، واستقرَّت الأحكام : ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً

---

(١) أو بتعبير الشيخ الغزالي رحمه الله : (بين التقاليد الراكدة والوافدة) .

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨) ، وأحمد (٧٠٨٣) ، وابن حبان في التاريخ (٧٤٦١) ، عن أبي هريرة .

OBEIKAN.COM

مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ (النساء:١٥).

في بعض بلاد الخليج رفضوا أن يكون للمرأة حقُّ التصويت في الانتخاب ، ناهيك بأن تُرشِّح نفسها في المجالس النيابيَّة أو المجالس البلديَّة ! وهذا ـ والله ـ ليس من الإسلام في شيء ، إنها غلبة العصبيَّات والتقاليد على التعاليم الإسلاميَّة ، أما التعاليم الإسلامية فتُطلِق المرأة لتعمل جنْبًا إلى جنْب الرجل .

قالوا : المرأة نصف المجتمع . وهذا صحيح من الناحية العدديَّة ، ولكنَّ المرأة أكثر من النصف ؛ لأنها تُؤثِّر في النصف الآخر ، تؤثِّر في زوجها إيجابًا أو سلبًا ، وتُؤثِّر في أبنائها إيجابًا أو سلبًا . ولهذا لا يجوز أبدًا أن نُعطِّل هذه الرئة ، أو نهيض هذا الجناح من جناحي المجتمع ، بل يجب أن نعدها إعدادا ليكون تأثيرها في الصف الآخر إيجابيا ونافعا .

الإسلام مرجعيتنا في دور المرأة :

لا بدَّ أن تسير المرأة مع الرجل جنْبًا إلى جَنْب ، ولكن بشرط أن تنضبط بأوامر الله ونواهيه .

نحن لا نرفض أبدًا أن يكون للمرأة دورها في السياسة ، ودورها في التنمية ، بل هذا هو الذي يجب شرعًا ، ويجب دينًا ، ولكن لا بدَّ لنا أن نُنبِّه هنا : أن يكون سير المرأة وحركتها في إطار (المرجعية الإسلامية الحاكمة) . نحن لسنا أمَّة مُتسيِّبة ، نحن أمَّة لها شرع ، ولها دين ، ولها رسالة . فلا بدَّ أن تكون حركة المرأة ـ كحركة الرجل ـ منضبطة بالمرجعية الإسلامية .

ليست مرجعيَّتنا : وثائق الأمم المتحدة ، التي تريد أن تفرضها علينا ، تريد أن تُلغي جميع أشكال التمييز بين الرجل والمرأة ، حتى ما جاءت به القواطع الشرعية . وليست مرجعيَّتنا كذلك وثيقة الطفولة . هذه الوثائق لا تلزمنا بحذافيرها ، بل نحن نأخذ منها ما يتَّفق مع قواطع شرعنا ، ونرفض ما ينافي ذلك ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾(الأحزاب:٣٦) .

وينبغي أن نتنبَّه للأفكار المسمومة والمشبوهة التي تدخل في هذه الوثائق تحت عناوين مختلفة ، مثل الصحَّة الإنجابيَّة ، والإجهاض المأمون ، وغيرها ، التي يريدون بها أن يُحِلُّوا ما حَرَّم الله ، وأن يُسقطوا ما فَرَض الله .

حركة المرأة ينبغي أن تنضبط في ظلِّ المرجعية الإسلامية الحاكمة ، ومع الاحتفاظ بالهُويَّة الإسلامية المُميِّزة . نحن لنا هُويَّة تُميِّزنا عن غيرنا ، فلا بدَّ أن نحتفظ بهذه الهُويَّة ، بقِيَمها وأخلاقيَّاتها وأحكامها وأدبيَّاتها .

يجب أن ننضبط بأحكام الشريعة في كلِّ سلوكيّاتنا ، وأن ننطلق من أهدافها الواضحة . فلكلِّ أمة أهدافها المنبثقة من رسالتها في الحياة ، ومن فلسفتها في الوجود . نحن لنا فلسفة غير فلسفة الغرب ، ولنا رسالة غير رسالة الغرب : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة:١٤٣) ، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:١١٠) .

عودة المرأة إلى المرجعية الإسلامية :

في هذا الإطار الإسلامي ، وفي حدود هذه الضوابط ينبغي أن يكون سَيْر المرأة ، ونهوض المرأة . والحمد لله قد نهضت المرأة المسلمة في كثير من البلاد ، وعادت إلى مرجعيَّتها الشرعية .

كان الحجاب في فترة من الفترات يُعتبر شاذًّا . الآن اذهب إلى أيِّ بلد عربيٍّ أو إسلاميٍّ ، تجد الحجاب ظاهرة منتشرة . لم يفرض أحد على هؤلاء الفتيات أن يعُدن إلى الحجاب ، هي حركة نسائية ، طوعيَّة ، اختياريّة ، جاءت مع الصحوة الإسلامية .

ينبغي أن نحرص على هذا التميُّز ، وأن نحرص على ثمار هذه الصحوة ، حتى تكون حركة المرأة حركة مباركة مثمرة ، تُثمر الخير ولا تُثمر الشرَّ ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ (الأعراف:٥٨) .

اللهم هيِّئ لنا من أمرنا رشدا ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا ، اللهم آمين . ادعو الله تعالى يستجب لكم

الخطبة الثانية :

أما بعد ، فيا أيها الأخوة المسلمون :

ملحمة جنين :

لا زالت الانتفاضة المباركة ، ولا زالت المقاومة الفلسطينيّة الباسلة ، ولا زالت البطولات الفارعة الرائعة تفرض نفسها علينا نحن العرب والمسلمين .

لا يجوز لنا بحال أن ننسى هذه الانتفاضة ، وننسى هذه المقاومة ، وننسى هذا التاريخ البطولي الأسطوري ، الذي سجَّله إخوتنا وأخواتنا في هذه الأيام ، وفي هذه المدَّة خاصَّة ، منذ أكثر من ثمانية عشر شهرًا وحتى اليوم ، منذ بدأت هذه الانتفاضة المباركة ، المقدامة ، المعطاءة ، التي نسأل الله تبارك وتعالى أن يُثبِّتها ويُسدِّدها وينصرها على عدوِّها .

آخر هذه البطولات : بطولات (جنين) ، وشكر الله لأخينا الكاتب الإسلاميِّ الكبير (فهمي هويدي) ، الذي عنون لهذه القضية تحت عنوان : (ملحمة لا مأساة) . وأوصانا وذكَّرنا : ألا يغلب جانب المأساة على جانب الملحمة .

هناك مأساة حدثت من غير شكٍّ : هذه الدماء التي سُفكت ، وهذه الأرواح التي أُزهقت ، وهذه البيوت التي دُمِّرت . ما حَدَث من مآسي لا يمكن أن ننساه ، ولا يمكن أن ينساه التاريخ ، وهو الذي أرسلت الأمم المتحدة أخيرًا من أجله لجنة لتقصِّي الحقائق ، ولكن شارون وعصابته رفضوا استقبال هذه اللجنة .

لكن التاريخ سيُسجِّل على هؤلاء الطغاة المستكبرين ما ارتكبوا من مجازر ، لن ينساها التاريخ ، وإذا نسيها التاريخ فلن ينساها الله تبارك وتعالى ، الذي لا تخفى عليه خافية ، ولا يغيب عنه سرٌّ ولا علانية ، ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾ (إبراهيم:٤٢) ، ﴿ **وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ (الشعراء:٢٢٧) .

لا زالت هذه المأساة حاضرة عندنا ، ولكن المأساة لا يجوز أن تنسينا ملحمة البطولة الفذة لأبناء جنين ، وبنات جنين ، وشعب جنين كله ، ودور المرأة فيها مثل دور الرجل . إذا كنا تحدَّثنا عن المرأة في الخطبة الأولى ، فلا يجوز أن نغفل دور المرأة في هذه القضية .

رأينا الأمهات اللائي يُحرِّضن أولادهنَّ على الذهاب إلى المعركة ، مثل : أم نضال ، واللائي يستقبلن أولادهن الشهداء بالزغاريد ، والفتيات اللاتي قدَّمن أرواحهنَّ رخيصة في سبيل الله : وفاء إدريس ، وآيات الأخرس ، وعندليب طقطاقة ، وغيرهنَّ من هؤلاء البطلات . هؤلاء يُثْبتن أنَّ المرأة قادرةٌ على أن يكون لها دورٌ في الحياة مع الرجل ، هذا أمر نذكره بكلِّ فخر واعتزاز .

الشذوذ عن الجماعة :

ولكن ممَّا يُدمي القلب ، ومما يدمع العين ، أن نرى من بين أبناء جلدتنا ، ومَنْ يتكلَّمون بألسنتنا ، مَنْ يحاول أن يشرُد عن القطيع ، ويخرج عن الصفِّ ، ويشذَّ عن الجماعة ، ويقول كلامًا مرفوضًا بكلِّ منطق : مرفوضًا باسم الدين ، ومرفوضًا باسم الخُلُق ، ومرفوضًا باسم العُرف ، ومرفوضًا باسم الوطنية ، ولا يُقبل بحال من الأحوال .

وجدنا مَن يرفض الخطَّ العام للأمة ، ويُغرِّد خارج السِّرب ، ويمشي وحده ، والنبي ﷺ يقول : « عليكم بالجماعة ، فإنَّ الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد »[1] ، « إنَّ الله لا يجمع أمّتي ـ أو قال : أمة محمد ﷺ ـ على ضلالة ، ويدُ الله مع الجماعة ، ومَن شذَّ شذَّ إلى النار »[2].

هناك مَن ينكر على الأمَّة كراهية أمريكا ، ويقول : إنَّ هذه الكراهية كراهية عمياء! هل مَنْ يكره أمريكا في هذا الوقت تكون كراهيته عمياء؟!

---

(١) رواه أحمد (١١٤) ، وقال مخرجوه : إسناده صحيح ، رجال ثقات رجال الشيخين ، والترمذي في الفتن (٢١٦٥)، وقال : حسن صحيح غريب ، والنسائي في الكبرى كتاب عِشرة النساء (٩١٨٠)، والحاكم في العلم (١/١١٤) ، وصححه على شرطهما ، ووافقه الذهبي ، عن عمر بن الخطاب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٦) .

(٢) سبق تخريجه صـ٢٧ .

أولاً : لسنا وحدنا الذين نكره أمريكا ، معظم العالم يكره أمريكا ، وقد تبيَّن ذلك في مؤتمر (دربان) بجنوب أفريقيا[1]. ونحن لا نكره أمريكا من فراغ ، إنما نكره أمريكا لأعمالها .

أمريكا التي تقول عن (شارون) : إنه رجل سلام! وتقول عن (عرفات) : إنه رجل إرهاب .

أمريكا التي تدين حركات المقاومة في فلسطين : حماس ، والجهاد ، وكتائب الأقصى ، وتعتبر ذلك إرهابًا ، ولا تعتبر أعمال إسرائيل إرهابًا ولا عُنفًا ، بل هي من الدفاع عن النفس! وتقول : إنها تتفهَّم حاجة إسرائيل إلى الدفاع عن نفسها!

أليس من حقِّنا أن نكره أمريكا ، وقد وقفت هذا الموقف المُتَحيِّز الظالم؟! عجبًا لمَن يقول : إننا نكره أمريكا كراهية عمياء .

أحبَّ أمريكا ما شئتَ ، ولتُحشر معهم . أتقبل أن تُحشر مع (بوش) ، ونائبه (ديك تشيني) ، ووزير دفاعه (رامسفيلد)؟ فقد جاء في الحديث : «المرء مع مَنْ أحبَّ»[2].

أحبَّ هؤلاء ، فنحن نتقرَّب إلى الله بكراهيتهم ما داموا على هذا الموقف .

حرق عَلَمي إسرائيل وأمريكا :

ويقول هؤلاء : إننا لا نتصرَّف تصرُّفًا حكيمًا حينما نحرق عَلَم إسرائيل . ويغار كلَّ الغَيْرة على عَلَم إسرائيل ، وعلى عَلَم أمريكا . ويقول فيما قال : لا يجوز بأيِّ حال حرق عَلَم أيِّ دولة ، وبأيِّ سبب كان!

يا لله ، العالَم كلُّه من مشرقه إلى مغربه ، ومن شماله إلى جنوبه ، ومن عربه إلى عجمه ، ومن مسلميه إلى مسيحيِّيه إلى وثنيِّيه ، كلُّ هذا العالم يحرق أعلام الدول التي يختلف معها ويعاديها وتعاديه . فلماذا تستكثر علينا أن نحرق عَلَم إسرائيل ، أو عَلَم أمريكا؟ هذا تعبير عن الغضب على هؤلاء .

---

(١) في المؤتمر الثالث للأمم المتحدة المناهضة العنصرية بمدينة دربان بجنوب أفريقيا في الفترة من ٣١ مارس - ٨ سبتمبر ٢٠٠١م .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الأدب (٦١٦٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٤٠)، عن ابن مسعود .

OBEIKAN.COM

العالم أقرَّ هذا كلَّه ، ولكن هؤلاء الذين يشذُّون عن الجماعة «ومَن شذَّ شذَّ إلى النار»[1] ، يريدون أن يتَّخذوا لهم طريقًا وحدهم .

تحريم شراء البضائع اليهودية والأمريكية :

يعيبون علينا أننا نفتي بتحريم شراء البضائع الصهيونية والأمريكية! ولستُ وحدي الذي أفتيتُ بهذا ، أفتى بهذا علماء كثيرون منهم : مفتي مصر السابق ، ومنهم عدد من العلماء في المجامع الفقهية ، حوالي ثلاثمائة عالم ، قالوا بتحريم شراء البضائع من الأعداء ، لأن هذا من التعاون على الإثم والعدوان . وقلتُ في فتواي : إن هذا أمر يحتاج إلى إنشاء لجان شعبيَّة تنظِّم هذه المقاطعة ، وتُرتِّب الأولويَّات : البضائع الأمريكية الخالصة أولاً ، فإذا انتهينا منها ننتقل إلى البضائع الأمريكية المصنوعة في بلادنا .

ما حاجتنا إلى أن نشتري السجائر الأمريكية بالمليارات؟ ما حاجتي أنا كمسلم إلى أن أشتري سيارة أمريكية وأنا أستطيع أن أشتري سيارة يابانية؟ لماذا يحامي هؤلاء عن المصالح الأمريكية؟

أعجب من هؤلاء الذين اشترتهم أمريكا ، الذين باعوا أنفسهم للشيطان ، يُحَامُون عن هذه البلاد التي تريد أن تقتلعنا من جذورنا؟ فهم أمريكيون أكثر من الأمريكان ، يُسبِّحون بحمد أمريكا ويقدِّسون لها .

أليس من حقِّنا على الأقل ـ إذا لم نستطع أن نُحارب ـ أن نقاطع؟ المقاطعة هي الشيء الذي في أيدينا ، هل هذا يحتاج إلى قرار من وليِّ الأمر؟ هل تريد من وليِّ الأمر أن يقول لك : لا تَشْتَرِ بضاعة أمريكيَّة ، لا تركب سيارة أمريكية؟! ما دَخْلُ وليِّ الأمر في هذا؟! هذا من حقِّك ، هذا أمر ينظِّمه الناس في كلِّ العالم بين بعضهم وبعض .

أعجب لهذا المنطق الأعوج ، الأعرج ، الذي يدافع عن بضائع إسرائيل ، وبضائع أمريكا . ولكنْ الإنسان إذا انحرف عن الطريق المستقيم ولم تعُد رؤيته مقيَّدة بمنهج الله ، ومشى في ركاب الآخرين أصابه الهَوَس ، وأحاط به الخَطَل والزَلَل :

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٧ .

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ (الجاثية:٢٣).

الدعاة إلى التطبيع مع إسرائيل :

رأينا أناسًا في بعض البلاد ينادون بالتطبيع مع إسرائيل! كيف نُطبِّع مع إسرائيل وهي تحتلُّ الأرض ، وتهتك العرض ، وتسفك الدم ، وتُشرِّد الأهل ، وتفعل ما تفعل؟ ويقولون : ليس لنا إلا أن نضع أيدينا في يد أمريكا! نضع أيدينا في يد أمريكا إذا كانت مع العدل ، إذا وقفت مع الحقِّ ، إذا تركت هذا الانحياز الأعمى .

هؤلاء هم الذين يُحبِّون أمريكا حُبًّا أعمى ، أما نحن فنكرهها كراهيةً مُبصرة ، لأنها مبنيَّة على أُسس ، وعلى أصول .

خيبة الله على هؤلاء الذين يريدون أن نبيع أوطاننا ، ونبيع ديننا ، ونبيع قِيَمنا ، بثمن بخْس ، أو(مجَّانًا) بغير ثمن قط .

لا والله ، نحن قد بعنا أنفسنا لله وحده ، رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً . نُسالم مَنْ سالَمَنا ، ونُحارب مَنْ حاربنا ، نوالي مَن والانا ، ونُعادي مَنْ عادانا ، وعادى اللهَ ورسولَهُ والأمة الإسلامية ، والله تعالى يقول : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (المجادلة:٢٢) .

من روائع المواقف الإيمانية :

أذكر لكم ـ أيها الإخوة ـ موقفًا من أروع المواقف شهدتُه بالأمس : جاءت البضائع الأمريكية ـ من المأكولات والمشروبات وألعاب الأطفال ـ إلى مخيم جنين ، الذي لا يجد أهله القوت ، فرفضها أهل المخيم ، وقالوا : نموت جوعًا ولا نقبل أغذية جاءت من بلاد قُتلنا بأسلحتها ، وأيَّدوا عدوَّنا في قتلنا .

ولا نملك إلا أن نقول : حيَّا الله أبناء جنين ، حيَّا الله بنات جنين ، حيّا الله رجال جنين ، حيَّا الله نساء جنين ، وأبعد الله أولئك الذين لا يفقهون ، ولا يعلمون .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُنير بصائرنا ، وأن يُسدِّد خُطانا ، وأن يُثبِّت على الحقِّ أقدامنا ، وأن يُهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا ، وأن ينصر إخوتنا في فلسطين .

اللهم انصر إخوتنا في فلسطين ، اللهم سَدِّد رمْيتهم ، وقَوِّ شوكتهم ، واجمع على الحقِّ كلمتهم .

اللهم عليك باليهود المعتدين الغادرين ، اللهمَّ عليك بشارون وعصابة شارون ومَن ناصر شارون .

اللهم خذهم أَخْذ عزيز مقتدر ، اللهم اسلب عنهم حِلْمك وإمهالك ، اللهمَّ أنْزل عليهم بأسك الذي لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين ، اللهم أَدِل دَوْلتهم ، وأذهب عن أرضك سلطانهم ، ولا تدع لهم سبيلاً على أحدٍ من عبادك المؤمنين .

اللّهم هيِّئ لإخوتنا المجاهدين في فلسطين نصرًا عزيزًا ، اللهم افتح لهم فتحًا مبينا ، اللهم اهدهم صراطًا مستقيمًا ، اللهم اجعل يومهم خيرًا من أمسهم ، واجعل غدهم خيرًا من يومهم ، وأحسن عاقبتهم في الأمور كلِّها ، وأجرنا معهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا ، سَخَاءً رَخَاءً ، وسائرَ بلاد المسلمين .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٧) .

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٥) .

* * *

(٨)

يوم المرأة العالمي[١]

الخطبة الأولى :

أما بعد ، فيا أيها الإخوة المسلمون :

أتحدّث إليكم عن موضوع المرأة ، بمناسبة يوم المرأة العالمي ، وبمناسبة ما يدور من حديث وحوار وجدال في عدد من بلدان العروبة والإسلام حول قضايا المرأة ، ما بين مؤيِّد ومعارض ، وما بين معتدل ومتطرِّف .

الإسلام حرَّر المرأة :

وأحبُّ أن أقول لهؤلاء جميعًا : إنَّ الإسلام قد حرَّر المرأة ، وإنَّ محمدًا ﷺ هو أوَّل من حرَّر المرأة ، لا قاسم أمين ولا غيره من دُعاة تحرير المرأة ، فهؤلاء أرادوا أن يُحلِّلوا المرأة لا أن يُحرِّروها .

أما محمد ﷺ فهو الذي حَرَّر المرأة حقيقةً من ظلم الجاهلية وظلامها ، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلمة ينبغي أن نعيها ونستذكرها ، قال : إنما يُنقص الإسلام عُروة عُروة إذا نشأ في الإسلام مَن لا يعرف الجاهلية[٢] .

وضع المرأة في الجاهلية :

كثيرٌ من الناس لا يعرف ماذا كانت عليه الجاهلية؟ وماذا صنع الإسلام؟ وخصوصًا في شأن المرأة والأسرة .

كانت المرأة في الجاهلية شيئًا من الأشياء ، متاعًا من الأمتعة ، ما كان لها قيمة ، بل كانت تُعتبر ولادتها كارثةً على أبيها وعلى أهلها ، وقد عرَّفنا بذلك القرآن

---

(١) ألقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ١٠ مارس ٢٠٠٠م .

(٢) مدارج السالكين (١/٣٤٣) .

OBEIKAN.COM

الكريم حينما قال : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (النحل:٥٨،٥٩)، كان الرجل إذا قيل له : إنَّ امرأتك ولدت . يسأل : وما ولدت ؟ قالوا له : أنثى . قال : ما هي بِنِعْم الولد ، نصرها بكاء ، وبرُّها سرقة !

هكذا قال الرجل الجاهليُّ حينما قيل له : إن امرأتك وضعت أنثى .

نصرُها بكاء : إذا أرادت أن تنصرني تصرخ وتبكي وتُوَلْوِل ، ولا تستطيع أن تحمل السلاح وتركب الجواد وتدافع .

وبرُّها سرقة : إذا أرادت أن تبرَّ أباها وأهلها سرقت من زوجها .

هكذا يتصوَّر هذا الرجل الجاهليُّ .

ولذلك ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (النحل:٥٨)، يمشي في الأزقَّة والأماكن البعيدة عن لقاء الناس ، كأنما ارتكب جريمة ، أو عمل عملة فيها فضيحة ، ﴿ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ ، ويظلُّ مُفكِّرًا ومُتردِّدًا ، هل يرضى بالواقع ويمسكه على هوان ومذلَّة ؟ ﴿ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ ؟ أم يتخلَّص منه و ﴿ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ﴾ ؟

وأد البنات في الجاهلية :

وكثيرًا ما كان يترجَّح الاحتمال الثاني ، التخلُّص من المولود بالدسِّ في التراب ، بالوأد . وهذه جريمة من أشنع جرائم الجاهلية ، فقد الإنسان فيها إنسانيته وقتل بغير حقٍّ .

القتل جريمة شنيعة في ذاتها ، فكيف إذا كان قتل نفس زكيَّة ، طفل بريء ؟ وكيف إذا كان القاتل هو الأب الذي يُفترض فيه أن يحميَ طفله ؟ وكيف إذا كان يقتله مخافةَ أن يطعم معه ، خشيةَ أن يزاحمه في رزقه ؟ وكيف إذا كان هذا القتل بهذه الطريقة البشعة ، أن يدُسَّه في التراب ؟ يحفر له حفرةً ويرميه فيها حيًّا وينتهي منه ، ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ ؟! (التكوير:٨-٩) . هذه من شناعات الجاهلية .

فضل الإسلام على البنات :

لو لم يكن من فضل الإسلام إلا أنه أنهى هذه الجريمة الشنيعة ، ولم يعد هناك مَن يُفكِّر في مثل هذا الأمر . بل غَدَا الناس يُحبُّون بناتهم ، ويتقرَّبون إلى الله بتعليمهنَّ وتأديبهنَّ ورعايتهنَّ ، لأنهنَّ باب من أبواب الجنة ، وقال الشاعر :

لـــولا بنيَّـــاتٌ كزُغْـــب القَطَـــا ... رُددْنَ مـــن بعـــض إلى بعـــض
لكـــان لي مُضْـــطَرَبٌ واســـعٌ ... في الأرض ذات الطول والعـــرض
وإنَّمـــا أولادنـــا بيننـــا ... أكبادنـــا تمشـــي علـــى الأرض[1]

هكذا قال الشاعر المسلم بعد أن علَّمه الإسلام ، وهذَّبه الإسلام ، ورقَّق قلبه الإسلام ، فيرى أولاده ـ سواء كانوا بنين أم بنات ـ أكباده تمشي على الأرض .

هكذا علَّم الإسلام الناس : أن يحترموا البنت ، ويعتبروها هبةً من الله ، كما قال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ (الشورى:٤٩،٥٠) ، فبدأ بالإناث : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا ﴾ .

ذكر الإناث أولاً ، ولذلك شاعَ عند كثير من المسلمين هذه المقولة التي تقول : (خير النساء مَنْ بكَّرت بأنثى)، كأنما اكتسبوها من القرآن :﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا ﴾.

فما عاد الناس كما كانوا في الجاهلية يئدون البنات ، هذا من فضل الإسلام على المرأة : أنه حماها من جريمة الجاهلية ، جريمة الوأد .

تكريم الإسلام للمرأة ومظاهره :

الإسلام ارتفع بالمرأة ، ارتقى بمكانتها وقيمتها ، كرَّمها وأنصفها في كلِّ مجال ، كرَّمها باعتبارها إنسانًا ، وكرَّمها باعتبارها أنثى ، وكرَّمها باعتبارها بنتًا ، وكرَّمها باعتبارها زوجة ، وكرَّمها باعتبارها أمًّا ، وكرَّمها باعتبارها قريبة ، كرَّمها أختًا أو خالة أو عمَّة ، وكرَّمها باعتبارها عضوًا في المجتمع[2] .

---

(١) من شعر حطان بن المعلَّى .

(٢) انظر ما كتبه الشيخ القرضاوي عن المرأة في المجتمع المسلم في الفصل الحادي عشر من كتابه : (ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده) . وقد أُفرد هذا الفصل بالنّشر في رسالة بعنوان : (مركز المرأة في الحياة الإسلاميّة) ، وطبعتهما مكتبة وهبة بالقاهرة .

هكذا كرَّم الإسلام المرأة وارتقى بمنزلتها ، حتى إنَّ القرآن قصَّ علينا عددًا من القصص رفع فيها منزلة المرأة ، وحكى لنا من الحِكَم والأقوال عن بعض النساء أصبح لها قيمتها في حياتنا الإسلامية .

حكمة امرأة العزيز :

نقل القرآن عن امرأة العزيز بعد أن عرَفت خطأها في مُرَاوَدَة يوسُف أنها قالت : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (يوسف:٥٣) . حتى إنَّ بعض المفسِّرين نسبوا هذا القول إلى يوسف عليه السلام ، كأنما استكثروه على هذه المرأة . والواقع أنَّ السياق كلَّه يقول إنَّ الكلام من كلام المرأة : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (يوسف:٥١،٥٢) ، كلُّه كلام المرأة ، ومن تتمة كلامها هذا الكلام : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ (يوسف:٥٣).

حكمة ابنة الشيخ الصالح في مدين :

ذكر لنا القرآن أيضًا من الكلمات الحكيمة على لسان ابنه ذلك الشيخ الكبير في (مَدْيَن) ، الذي زعم بعض المفسِّرين أنه (شعيب) عليه السلام ، وليس بشعيب ، شعيب كان قبل موسى ، ولكن لعلَّ اسمه شعيب ، فإنَّ قبيلة مَدْيَن مثل غيرهم يُسمُّون بأسماء أنبيائهم ، ولكن ليس هو شعيب النبي المرسل .

هذه الابنة قالت لأبيها : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ (القصص:٢٦) ، هذه الكلمة وضعت المواصفات الأساسية لاختيار الرجال للأعمال ، أصبحت هذه الكلمة أساسًا في كتب السياسة الشرعية : مَنْ نختار ؟ وما هي الصفات التي يجب أن نختارها للرجال حينما نُولِّيهم المسؤوليات ؟ خُصوصًا المسؤوليات المُهمَّة : القوَّة ، والأمانة . القوَّة على الشيء : أن يكون كفؤًا له ، قادرًا عليه ، عالمًا به . والأمانة : بحيث يكون إنسانًا مُؤْتَمنًا على عمله ، يخشى الله فيه ، ويتَّقي الله في عمله .

هاتان الصفتان أساسيتان : صفة تتعلَّق بالعقل ، وصفة تتعلَّق بالضمير . لا بدَّ من هاتين الصفتين : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ (القصص:٢٦).

ولذلك كان الناس يشكون دائمًا من ضعف الأمين وخيانة القوي ، كما كان سيدنا عمر يقول : اللهمَّ إنِّي أشكو إليك عَجْزَ الثقة وجَلَد الفاجر[1] . الثقة هو الأمين ، والفاجر هو الخائن .

فالناس في حاجة إلى هاتين الصفتين : ﴿ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ ، هكذا قالت هذه الفتاة على البديهة هذا الكلام .

حكمة ملكة سبأ :

كذلك حكى لنا القرآن تلك الحكمة عن المرأة التي حكمت (سبأ) في اليمن والتي يُعرِّفها التاريخ باسم : (بلقيس) : ملكة سبأ ، التي قصَّ القرآن علينا قصَّتها في سورة (النمل) ، وكيف حكمت قومها حُكْمًا عادلاً ، وحكمًا شورّيًا ، أو ما يسمّونه الآن (ديمقراطيًا) ، وحينما جاءها كتاب سليمان : ﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ (النمل:٣٢،٣٣) ، فوَّضوا إليها أن تَتَصَرَّف بحكمتها كما ترى ، ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل:٣٤). بهذه الكلمات حدَّدت مُهمَّة الاستعمار ، لا تقصد أنَّ الملوك إذا دخلوا بلادهم أفسدوها ، لا ، إذا دخلوا بلاد غيرهم فاتحين مستعمرين ، إذا دخلوها أفسدوا البلاد ، وأذلُّوا العباد ، هذه مهمَّة الاستعمار ، وكذلك يفعلون دائمًا .

هذه حكمة من هذه المرأة المحنَّكة السياسية الداهية : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل:٣٤) .

---

(١) مجموع الفتاوي (٦٨/٢٨) .

OBEIKAN.COM

المرأة مكلَّفة مثل الرجل :

هذه حِكَم قصَّها علينا القرآن ، قالها بعض النساء . فليست المرأة ـ كما يظنُّ بعض الناس ـ مخلوقًا ناقصًا ، أو مخلوقًا مُشَوَّهًا ، أو مخلوقًا لا عقل له ، لا ، المرأة مُكلَّفة مثل الرجل تمامًا . حينما يقول القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ (البقرة:٢١) أو : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ، فهذا خطابٌ للذكور وللإناث جميعًا . وقد جاء في الحديث : أنَّ أمَّ سَلَمة رضي الله عنها ، زوج الرسول ﷺ وأمَّ المؤمنين قالت : كنتُ أسمعُ الناسَ يذكرون الحوض ، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ ، فلما كان يومًا من ذلك والجارية تُمشِّطني ، فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «أيها الناس» . فقلتُ للجارية : استأخري عني . قالت : إنما دعا الرجال ولم يدعُ النساء . فقلتُ : إني من الناس[1] ، فذكرت الحديث .

المرأة مُكلَّفة مثل الرجل ، والقرآنُ يقول : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ (الأحزاب:٣٥) ، إلى آخر هذه الأمور العشرة ، أشرك فيها الرجال مع النساء ، والله تعالى يقول : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران:١٩٥) .

بعضكم من بعض :

انظروا إلى هذا التعبير القرآني المُوجَز المُعْجِز : ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران:١٩٥) أي : الرجل من المرأة والمرأة من الرجل ، هو يُكمِّلها وهي تُكمِّله ، ليس الرجل خصمًا للمرأة ولا المرأة عدوًّا للرجل ، وليس أحدهما نِدًّا للآخر يُحاول أن ينافسه ، لا ، هما متكاملان ، لا يستغني الرجلُ عن المرأة ولا تستغني المرأةُ عن الرجل ، ومنذ خلق الله آدم وأسكنه الجنة لم يدعه وحده ، بل خَلَقَ له من نفسه زوجًا ليسكن إليها ، وتسكن إليه أيضًا ، وقال له : ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (البقرة:٣٥ ، الأعراف:١٩) ، إذ لا معنى للجنَّة إذا عاش الإنسان فيها وحده ، ما معنى جنَّة بغير أنيس ولا جليس ؟ !

---

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٢٩٥) ، وأحمد (٢٦٥٤٦) ، والنسائي في الكبري في التفسير (١١٣٩٦) .

الزوجيَّة سنَّة كونية :

الإنسان بفطرته اجتماعي ، لا بدَّ له من أنيس ، والله سبحانه وتعالى خلق الكون على سنَّة الازدواج ، الزوجيّة سنّة سائدة في هذا الوجود ، ليس هناك واحد إلا (الله) تعالى ، وكلُّ ما في هذا الكون أزواج : الليل والنهار ، والذكر والأنثى ، والموجب والسالب ، ولذلك يقول القرآن : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يس:٣٦) ، ويقول عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات:٤٩) ، من كلِّ شي خلق الله زوجين متقابلين .

كان المُفسِّرون قديمًا يقولون : هذه كليَّة أغلبيَّة . لا ، هي ليست كليَّة أغلبيَّة ، هي كليَّة على ظاهرها ، كلُّ شيء في الكون ، حتى الذرَّة ـ التي يتحدَّثون عنها اليوم ، ويعتبرونها قاعدة البناء الكوني ـ فيها موجب وسالب ، أو شحنة كهربائية موجبة وشحنة كهربائية سالبة ، إلكترون وبروتون كما يسمُّونهما .

هذا هو بناء الكون : ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات:٤٩) ، ولذلك خلق الله الزوجين الذكر والأنثى : في الإنسان ، وفي الحيوان ، وفي النباتات ، عرف الناس قديمًا ، ذلك في النخيل ، ثم عرفوا الآن حبوب التذكير وحبوب التأنيث في سائر النباتات .

الحضارة الحديثة تخالف هذه السنة الكونيَّة :

الآن نرى الحضارة الحديثة تريد أن تخالف هذه القاعدة الكونية ، تريد أن تناقض سُنَّة الزوجيَّة ، ليكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء! تريد الأسرة الوحيدة الجنس ، أسرة من رجلين ، أو أسرة من امرأتين ، تريد الشذوذ الجنسي ، بل يسمونه الآن : (المِثْلِيَّة!) .

والشذوذ الجنسي أول مَن ابتكره أمَّة خسف الله بها الأرض وأزالها من الوجود ، وهي قوم لوط ، قال لهم نبيُّهم لوط : ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ (الشعراء:١٦٥،١٦٦) ،

OBEIKAN.COM

أنتم قوم معتدون متجاوزون للحدود ، وصفهم هنا بالعدوان ، وفي مقام آخر : ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ (الأعراف:٨١) ، وفي مقامٍ ثالث : ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (النمل:٥٥)، وفي مقامٍ رابع : ﴿ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (العنكبوت:٣٠) ، وفي مقام خامس : ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف:٨٤) ، فوصفهم بالإجرام ، وبالإفساد ، وبالإسراف ، وبالجهل ، وبالعدوان ، وبكلِّ نقيصة ، لأنهم خالفوا فطرةَ الله التي فطر الناس عليها ، يَدَعُونَ ما خلق لهم ربُّهم من أزواجهم من نساء طيِّبات طاهرات ، ويأتون الذُّكران من العالمينَ : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (النمل:٥٥) ، هذا هو انحطاط الجهل والجاهلية ، هذا الذي حدث .

وعاقب الله هذه الأمة بعقوبتين :

١- ﴿ جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ (هود:٨٢) ، قلب عاليَها سَافِلَها .

٢- ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾ (هود:٨٢،٨٣) ، كلُّ حجر يذهب إلى صاحبه .

﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (هود:٨٣) .

إحياء الحضارة الغربية للشذوذ الجنسي والمباهاة له :

تأتي الحضارة المعاصرة بعد هذه القرون لتُحيي عمل قوم لوط ، لتُحيي هذه الجريمة وتتبجَّح بها ، بل تزيد عليها : استغناء النساء بالنساء ! .

المصيبة في الحضارة الغربية أنها ترتكب الفضائح الأخلاقية وتتباهى بها ، كان الناس قديمًا يرتكبون هذه الفضائح في السرِّ ، يَتَخفّون ، لا يُحبُّون أن يُعرف هذا عنهم ، أما المصيبة في هذا العصر : أن يشيع هذا ويصبح أمرًا ظاهرًا عامًّا ، وأن لا يستحيي الناس منه ولا يخجلوا ، وأن يُقنَّن بقوانين أقرَّتها بعض الدول ، مثل بريطانيا ، ومجلس العموم البريطاني ، وأن يباركه القسس ورجال الدين ويُعلنوا ذلك على الملأ ، في التلفازات ، القسيس الفلاني يعقد زواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، وتليفونه كذا ، وعنوانه كذا ! !

هذه هي الحضارة المأساوية التي يعيشها الناس في عصرنا : أن يزوَّج الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، خلافًا للفطرة .

الحياة تقوم على الازدواج :

الإسلام يقول : الحياةُ تقوم على الازدواج ، وأنَّ الرجل من المرأة والمرأة من الرجل ، لا غنى لأحدهما عن الآخر ، ولا يمكن أن يستمرَّ وجود النوع الإنساني إلا بهذا الزواج ، لأنَّ زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة لا يمكن أن يكون منه نسل ، فلو قبل عموم الناس ذلك لانتهت البشريَّة في جيل واحد .

سُنَّةُ الله هو هذا الزواج ، واللهُ تعالى يقول : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾(النحل:٧٢)، ذكرهم الله بنعمة الأولاد والأحفاد لتستمرَّ الحياة ، ويستمرَّ النوع . هؤلاء يضادُّون قوانين الله في شرعه ، وسُنن الله في خَلقه ، يُضادُّون هذا كلَّه . أيُّ حضارة هذه الحضارة؟!

الإسلام يرفع قيمة المرأة :

الإسلام جاء وارتفع بقيمة المرأة ، وقال القرآن : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾(آل عمران:١٩٥). أي : من الجنسين ، من الذكور والإناث ، فأشار القرآن إلى أن المرأة يمكن أن تهاجر في سبيل الله ، وأن تقاتل وتُقتل وتُؤْذى ، وهذا ما حدث .

أول شهيد في الإسلام امرأة :

أول شهيد في الإسلام لم يكن رجلاً ، وإنما كان امرأة قُتلت بيد عِلْجٍ مشرك جاهليٍّ قاسٍ : أبو جهل لعنه الله ، قتل هذه المرأة المؤمنة المُعذَّبة الصَّابرة في سبيل الله : سُميَّة (أم عمَّار بن ياسر) . ماتت سُمَيَّة وزوجها ياسر تحت العذاب ، ومرَّ عليهم النبي عليه الصلاة والسلام وهم يُعذّبون فقال : « صبرًا يا آل ياسر ، فإنَّ

موعدكم الجنّة»[1]. وكان أول مَن قُتل سُمَيَّة ، طعنها أبو جهل في موضع عفَّتها ، فَخَرَّت شهيدة في سبيل الله[2].

فأول مَن قدَّم دمه في سبيل الإسلام كان امرأة .

أول مؤمن برسالة محمد ﷺ امرأة :

وأوَّل صوتٍ ارتفع بتأييد دعوة محمد ﷺ لم يكن صوت رجل ، إنما كان صوت امرأة ، صوت خديجة ، هي التي قالت للنبيِّ ، وقد رجع من لقاء جبريل يرجف فؤاده ، ويرتعش جسمه ، ويقول : «زمِّلوني زمِّلوني» . لا يدري ما هذا الشيء الذي جاءه ، ما كان يرجو نبوَّة ، وما كان يرجو أن يُلقى إليه شيء من الله ، فكان يخاف من هذا الشيء ، قالت له : كلا والله ، ما يُخْزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكَلَّ ، وتَكْسِبُ المعدوم ، وتُقْري الضيف ، وتُعين على نوائب الحقِّ[3] . أدركت بفطرتها السليمة أنَّ مَن كان هذا شأنه لا يمكن أن يُخْزيه الله ، لا يمكن أن يُسلِّط عليه شيطانًا ، سنن الله تأبى ذلك . كذا قالت خديجة رضي الله عنها المؤمنة الأولى في الإسلام .

فللمرأة في الإسلام شأنٌ عظيم .

الرسالة المحمديَّة رسالة الرجل والمرأة :

هذه الآية : ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران:١٩٥) ، والآية الأخرى في سورة التوبة : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (التوبة:٧١)، جاءت هذه الآية في مقابل آية أخرى تتحدَّث عن المنافقين والمنافقات : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ

---

(١) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٣/٣٨٨) ، وصحَّحه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وأبو نُعيم في معرفة الصحابة (٦٠٥٨)، وقال الألباني في تخريج فقه السيرة : حسن صحيح صـ١٠٣.

(٢) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب (١/٦٠٢) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الوحي (٣) ، ومسلم في الإيمان (١٦٠) ، كما رواه أحمد (٢٥٨٦٥) ، وابن حبان في الوحي (٣٣) ، عن عائشة .

﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(التوبة:٦٧)، ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ العصا من العُصيَّة ، والحيَّة لا تلد إلا حُيَيَّة ! ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ ، إذا كان النساء اللادينيات والعلمانيات والمشركات والكافرات يأمرن بالمنكر وينهين عن المعروف مع أمثالهنَّ من المنافقين ، فعلى المؤمنين والمؤمنات أن يَخطُطْن خطًّا آخر ، وينهجن نهجًا آخر ، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذه هي خصيصةٌ هذه الأمة : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (آلَ عمران:١١٠) .

لم يجعل الله هذه الرسالة رسالةً رجاليَّةً أو ذكوريَّةً ، هي رسالة للرجال وللنساء جميعًا : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (التوبة:٧١) ، هذه الوظيفة الاجتماعية المُهمَّة منوطةٌ بأعناق الرجال والنساء جميعًا ، ولا ينبغي للمرأة أن تقول : أنا مالي؟ أنا مُهمَّتي أن أطبخ وأكنس . ولا ينبغي للرجل أن يقول لها : وأنت مالك؟ أنت تفرَّغي للعيال ، والمنزل . لا ، هي مسؤولة مثلك تمامًا .

المرأة والرجل كلاهما مسؤول عن هذا الدين ، عن نُصرة الإسلام ، عن الدعوة إلى الله ، عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إذا كانت المرأة المسيحية تذهب في أنحاء العالم لتنشر المسيحية وتدعو إليها ، لماذا المرأة المسلمة تُحرم من هذا الحقِّ؟ هذا هو الواجب على المرأة وعلى الرجل جميعًا : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت:٣٣) .

هناك جيوش من المبشِّرات (المُنصِّرات) ينتشرن في أنحاء العالم ، فلماذا نحبس المرأة المسلمة وحدها في البيت ، ونقول لها : مهمَّتك البيت؟ هذا خلاف ما جاء في القرآن ، وخلاف ما جاء عن النبي ﷺ في قوله :« إنما هنَّ شقائق الرجال »[1]، المرأة شقيقة الرجل ، يمكن للمرأة أن تذهب مع زوجها أو شقيقها لتدعو إلى الله .

---

(١) سبق تخريجه صـ١٠٤ .

فينبغي أن نعترف بقدْر المرأة .

خطر الجَوْر على المرأة باسم التديُّن :

إنَّ الذين يجُورون على المرأة باسم التديُّن ، وباسم الإسلام ، فتحوا الباب واسعًا للذين يريدون أن يُخرجوا المرأة عن فطرتها ، وعن طبيعتها ، ويريدونها أن تكون مثل الرجل في كلِّ شيء . هذا ما يدعو إليه المُتغرِّبون من أبناء المسلمين والعروبة ، الذين يريدون للمرأة المسلمة أن تسير وراء المرأة الغربيَّة شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، ونحن لسنا عبيدًا إلا لله ، لسنا عبيدًا للغرب ولا للشرق .

ينبغي أن تكون المسلمة مُعتزَّة بدينها ، لا بشيء آخر .

خطة تغريب المرأة المسلمة :

لا يجوز لنا أن نُحوِّل طبيعة المسلمة ونُغرِّبها في فكرها ، وفي خُلُقها ، وفي سلوكها ، كما يدعو بعض الناس اليوم . هؤلاء الناس اعتمدوا على التحجير والتضييق والكبْت الذي تُعانيه بعض النساء في بعض المجتمعات ؛ ليخرجوا بالمرأة عن الإسلام نهائيًا ، ويسيروا وراء وثائق الأمم المتحدة ، التي تريد للشعوب أن تترك خصوصياتها الدينية والقومية والثقافية ، كما حاولوا في مؤتمر السكَّان في القاهرة سنة (١٩٩٤م) ، ومؤتمر المرأة في بكين سنة (١٩٩٥م) ، وكانت وثيقة الأمم المتحدة تُريد أن تُلغي كلَّ أشكال التمييز - كما يسمُّونها - بين الرجل والمرأة ، تريد أن تُسوِّي المرأة بالرجل والرجل بالمرأة . والفطرة لم تُسَوِّ بينهما ، فطرة الله خالفت بين الرجل والمرأة ، الرجل لا يحمل ولا يلد ولا يُرضع ، تكوين الرجل غير تكوين المرأة : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ (آل عمران:٣٦) ، فكيف نُسوِّي بينهما؟ التَّسوية بين المختلفين ظلم ، كما أنَّ التفرقة بين المتساوين ظلم . فلا يجوز أن نقبل هذا .

للأسف في بعض البلاد - مثل ما يجري في بلاد المغرب اليوم - يريدون إدخال المرأة في التنمية ، ووضعوا لذلك خُطَّة يريدون بها تغريب المسلمة ، يريدون بها

OBEIKAN.COM

أن تساوي المرأة الرجل في الميراث ، ويريدون بها إذا طلَّق الرجل امرأته أن تأخذ نصف ما يملك ، على ما يفعل الغربيُّون والأوروبيُّون والأمريكان وغيرهم ! وهذا ما جعل الكثير منهم يحجم عن الزواج . عندما كنتُ أُعالَج في أوربا سألتُ الممرِّضات اللاتي يُمرِّضنني ، فوجدتُ جميعهنَّ آنسات! هنّ آنسات بالاسم ، ولكنهنَّ معاشرات لأخدان لهنَّ . لماذا؟ لأنَّ الرجل إذا تزوَّج ، ثم أراد أن يُطلِّق تأخذ المرأة نصف أملاكه ، وهذا ظلم . ماذا يأخذ أولاده؟ وماذا يأخذ أبوه وأمُّه؟ وماذا يأخذ أقاربه؟

هؤلاء يريدون أيضًا أن يُطوِّروا الأحوال الشخصيَّة وقوانين الأسرة ، لتصبح كما في الغرب سواءً بسواء ، ونحن لنا قوانينا ، ولنا أنظمتنا ، ولنا شريعتنا ، وأحكام قرآننا وسنتنا .

تطوير قوانين الأسرة يكون وَفْق اجتهاد شرعيّ سليم :

كلُّ ما علينا : أن نُطوِّر هذه القوانين في ضوء اجتهاد شرعيٍّ سليم ، يأخذ بأفضل ما في فقهنا الإسلاميِّ الرَّحْب .

بعض الناس في بعض المحاكم ـ وفي بعض الإمارات بجوارنا ـ لا يزالون إلى اليوم إذا جاءه رجل تشاجر مع إنسان في عُرض الطريق ، وحلف بالطلاق (بالثلاث) أن يفعل كذا ولم يفعل ، يقول له : امرأتك طُلِّقت بالثلاث! وامرأته ليست بينه وبينها أية مشكلة ، بل هما غاية في الانسجام وغاية في السعادة ، ولكنه تشاجر مع شخص آخر فندَّت منه هذه الكلمة .

هذا الحكم لا يمكن أن يُقبل في عصرنا ، لا بدَّ أن نأخذ بما قاله بعض السَّلف ، ورجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومدرستهما ، وأفتت به لجان الفتوى ، وظهر في قوانين الأحوال الشخصية في عددٍ من البلدان : أنَّ مثل هذا الطَّلاق لا يقع ، إنما فيه كفَّارة يمين .

لا بدَّ من إصلاح القوانين التي عندنا .

العمل بقانون الخُلع الجديد :

أنكر الكثيرون الأخذ بالخُلْع في القانون المصريِّ الجديد ، وأنا لم أرَ به بأسًا إذا حَسُنَ تطبيقه ، وحُسْنُ التطبيق أن لا يُسارع القاضي كلَّما طلبت المرأة الخُلع ، يجيبها إلى ذلك . لا ، لا بدَّ أن يُحاول الإصلاح ، ويُحاول التقريب ؛ لأنَّ المرأة في ساعة الغضب تقول لزوجها : طلِّقني . فلا ينبغي أن يُسارع القاضي إلى تطليقها من زوجها .

الله سبحانه وتعالى قال للرجال : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:١٩) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يَفرُك مؤمنٌ مؤمنةً ـ يعني لا يبغض ولا يكره مؤمنٌ مؤمنةً ـ إن كره منها خُلُقًا رضي منها آخر »[1] . وكذلك المرأة ينبغي أن لا تنشد في زوجها الكمال ، كلُّ إنسان فيه مزايا وعيوب ، فلْتجمع بعضها على بعض ، ولْتَرْضَ بمَن كانت مزاياه أكثر من عيوبه ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : « أيُّما امرأة سألت زوجها طلاقًا في غير ما بأس ، فحرام عليها رائحة الجنة »[2].

ولكن إذا كان هناك بأسٌ ، وكان هناك ضرورة ، وكانت المرأة لا تُطيق زوجها بُغْضًا ، كما قالت امرأة ثابت بن قيس : يا رسول الله ، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خُلُق ولا دين ، ولكنِّي أكره الكفر في الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « أتردِّين عليه حديقته ؟ » . قالت : نعم . قال رسول الله ﷺ : « اقبل الحديقة وطلِّقها تطليقة »[3] . فأخذ منها الحديقة ، وأعطاها الرجل ، وأمره بفِراقها .

---

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٩) ، وأحمد (٨٣٦٣) ، وأبو يعلي في مسنده (٦٤١٨) ، عن أبي هريرة .

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٧٩) ، وقال مخرجوه : حديث صحيح ، وأبو داود (٢٢٢٦) ، والترمذي (١١٨٧) ، وحسَّنه ، وابن ماجه (٢٠٥٥) ، ثلاثتهم في الطلاق ، والبيهقي في الخلع والطلاق (٣١٦/٧) ، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٩٢٨) .

(٣) رواه البخاري (٥٢٧٣) ، والنسائي (٣٤٦٣) ، وابن ماجه (٢٠٥٦) ، ثلاثتهم في الطلاق ، عن ابن عباس .

هذا الظاهر أنه قضاءٌ من رسول الله ﷺ ، فقد كان هو قاضي الأمة ، فإذا قضى في مثل هذه الحالة ، فلا مانع أن نأخذ ـ بل يجب أن نأخذ ـ بما قضى به رسول الله ﷺ ، إذا تبيَّن لنا أنَّ المرأة لا تطيق الرجل بُغضًا ولا تستطيع المعايشة معه .

لا يمكن أن يفرض الإسلام معاشرة على اثنين رغم أنفهما ، أو رغم أنف أحدهما .

الرجل يملك الطلاق ، فماذا تملك المرأة ؟

سبيل المرأة للتخلُّص من ظلم الزوج :

هكذا سألني بعضهم : إذا كان الإسلام أعطى الرجل الطلاق ، فماذا أعطى للمرأة؟

قلتُ : أعطى للمرأة ثلاثة أشياء ، أو ثلاثة مخارج :

١- المخرج الأول : الخلع :

الإسلام أعطى لها الخُلع في حالة الكراهية ، إذا كانت الكراهية منها ، وإنما لو كان هو الكاره ، ويريد أن يتزوَّج أخرى ، فلا يحلُّ له أن يأخذ منها فَلْسًا ، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء:٢٠) . إنما لو كانت هي الكارهة ، وهو الراغب فيها ، فيجب أن تردَّ إليه ما دفع ، لأنه في حاجة إلى أن يؤسِّس أسرة أخرى وينفق عليها ، فما ذنبه؟

٢- المخرج الثاني : التحكيم :

خصوصًا إذا كان الشقاق من الطرفين ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (النساء:٣٥) .

٣- المخرج الثالث : طلاق القاضي للضرر :

أن ترفع أمرها إلى المحكمة ، وتنظر في شكواها ، فإن كان الرجل يضارُّها ويُؤْذيها ، بالضرب أو السَّبِّ أو بعدم النفقة أو بالغياب الطويل دون إذنها ، أو بغير ذلك ، فمن حقِّ القاضي ـ بل من واجبه ـ أن يُجْبِرَ الرجل على الطلاق ، بل أن يُطلِّق عليه هو جَبْرًا .

وبذلك يكون الإسلام قد أنصف المرأة ، وأعطاها في مقابل الطّلاق ثلاثة أشياء وليس شيئًا واحدًا[1].

الإسلام ليس شريعة من وضع الرجال ، لم تضع الشريعة الإسلامية لجنة من الرجال حتى يتحيَّزوا ضدَّ النساء . إنما الذي وضع هذه الشريعة ربُّ الرجال والنساء الذي ﴿ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ (النجم:٤٥) ، ولا يتصوَّر منه أن يحيف على بعض خلقه لحساب البعض الآخر ، فهو عَدْلٌ ، وهو الحَكَمُ العَدْل ، وهو الذي ﴿ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (يونس:٤٤) .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يُفقِّهنا في ديننا ، وأن يَرُدَّنا إليه ردًّا جميلاً ، وأن يُحسن خاتمتنا ، إنه سميعٌ قريبٌ .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

الخطبة الثانية :

أما بعد ، فيا أيها الإخوة المسلمون :

نحن في هذه الأيَّام في عشر ذي الحجَّة ، وهي من أفضل الأيام عند الله ، كما جاء عن ابن عباس : « ما من أيام أعظم عند الله ، ولا أحبُّ إلى الله العمل فيهنَّ من

---

(١) ومنها : اشتراط المرأة في العقد أن يكون الطلاق بيدها ، فهذا جائز عند الحنفية وأحمد . وفي الصحيحين : «أحق الشروط أن توفُوا به ما استحللتم به الفروج» .

ومنها : التفريق للعيوب الجنسية . فإذا كان في الرجل عيب يُعجزه عن الاتصال الجنسي ، فللمرأة أن ترفع أمرها إلى القضاء فيحكم بالتفريق بينهما ، دفعًا للضرر عنها ، إذ لا ضرر ولا ضرار في الإسلام .

بل ذهب بعض الأئمة إلى جواز التفريق بين المرأة وزوجها المعسر ، إذا عجز عن النفقة ، وطلبت هي ذلك ، لأن الشرع لم يكلفها الصبر على الجوع مع زوج فقير ، مالم تقبل هي ذلك من باب الوفاء ومكارم الأخلاق . انظر : كتاب ملامح المجتمع المسلم الّذي ننشده (٣٤٨- ٣٥٠)، للشيخ القرضاوي ، نشر مكتبة وهبه .

وانظر كذلك : حق الزوجة الكارهة من كتاب الشيخ (فتاوى معاصرة) الجزء الثاني .

OBEIKAN.COM

أيام العشر ، فأكثروا فيهنَّ من التَّسبيح ، والتَّحميد ، والتَّهليل ، والتكبير »[1] . وتلاوة القرآن ، والصيام ، وخصوصًا صيام يوم التاسع : يوم عرفة ، فهو أفضل أيَّام العام ، وصيامه يُكفِّر ذنوب سنتين ، كما جاء عن النبيِّ ﷺ :« صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التى قبله والسنة التى بعده »[2].

مآسي موزمبيق :

وأحبُّ أن أتحدَّث عن شيء ، جاءني في مكتبي أحد الشباب الأفارقة الذين يدرسون في جامعة قطر ، وقال لي : نراك تتحدَّث عن القضايا العربيَّة والمآسي العربيَّة ولا تتحدَّث عن مآسي أفريقيا ، مثل ما يحدث في موزمبيق الآن من فيضانات تكاد تُغرِق الناس ، وهناك آلاف مُؤلَّفة فوق أسطح المنازل والأشجار ، لا تجد مَن ينقذها .

فقلتُ للابن العزيز : أنا لا أتحدَّث عن الناس من منطلق جغرافيٍّ ، ولا من منطلق عِرقيٍّ . فلا يهمُّني عربٌ ولا عجم ، ولا أفارقة ، ولا آسيويون ، ولا أوروبيون . أنا أتحدَّث عن المآسي التي يقع فيها الناس عامَّة ، والمسلمون خاصَّة ، وأتحدَّث عن أشدِّها سخونة ، وأكثرها مأساويَّة . لذلك تحدَّثتُ في الأسبوع الماضي عن مأساة الشيشان ، فهي المأساة الحيَّة الساخنة التي نشاهدها بأعيننا كلَّ يوم ، وتحدَّثت عن مأساة فلسطين وهي المأساة القديمة الجديدة ، وتحدَّثت عن إندونيسيا وهي في أقصى الشرق ، وتحدَّثت عن كشمير ، هذه المأساة القديمة الجديدة التي يعاني أهلها ما يعانون .

أتحدَّث عن المآسي بغضِّ النظر عن مكانها ، وبغضِّ النظر عن جنس أهلها ، أنا لا أتعصَّب لجنس ولا لعرق ولا لون ولا لإقليم مُعيَّن ، أنا أتحدَّث عن مآسي الأمة .

---

(١) رواه الطبراني (٨٢/١١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٨/٤) : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ، وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١٢٧/٢) ، عن ابن عباس .

(٢) رواه مسلم (١١٦٢) ، وأبو داود (٢٤٢٥) ، والترمذي (٧٤٩) ، والنسائي في الكبري (٢٨٢٦) ، وابن ماجه (١٧٣٠) ، جميعهم في الصوم ، عن أبي قتادة .

ولكن ليس معنى هذا أننا لا نتحدَّث عن مأساة موزمبيق وما يجري فيها ، وكان ينبغي على العرب والمسلمين أن يقوموا بدورهم ـ خصوصًا الأفارقة منهم ـ في إنقاذ هؤلاء الذين نراهم على أسطح المنازل بعشرات الآلاف ، ولا يجدون مَن ينقذهم .

عدَّة طائرات ، خمس طائرات ظلّت تنقل المؤن ، وتذهب وتعود . لماذا لا تذهب طائرات أخرى؟ لو من كلِّ بلد طائرة ، نستطيع أن ننقذ هؤلاء الناس ، حتى لو لم يكن أهل هذه البلاد مسلمين ، فنحن مع الإنسان من حيث هو إنسان ، والله يُحبُّ إغاثةَ الملهوف ، ونُصرة المظلوم ولو كان كافرًا ، وفي الحديث : « دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجرًا ، ففجوره على نفسه »[1] .

وإذا كان الإسلام يأمرنا بالرحمة بالحيوان الأعجم ، بالكلاب وبالقطط وبغيرها ، « دخلت امرأة النار في هِرَّة ربطتها »[2] . ودخل رجل الجنَّة في كلب سقاه ، وكان يلهث يأكل الثرى من شدَّة العطش « فشكر الله له فغفر له » . قال الصحابة : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم لأجرا ؟ فقال : « في كلِّ كبد رطبة أجر »[3] . فكيف لا يأمرنا بالرحمة بالإنسان ؟

علينا أن نُسعف إخواننا هؤلاء ، وأن نَشُدَّ أزرهم ، ونُغيث لهفتهم ، ونُفرِّج كُربتهم ، فهذا هو خُلُق الإسلام ، وهذا هو منهج الإسلام .

---

(١) رواه أحمد (٨٧٩٥) ، وقال مخرجوه : إسناده ضعيف ، والطيالسي في مسنده (٢٣٣٠) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٣١٥) ، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١٣٠/٣) ، والهيثمي في المجمع (٢٣٠/١٠) ، وابن حجر في الفتح (٣٦٠/٣) ، عن أبي هريرة . قال المناوي في شرحه : يحتمل أن يريد بالفاجر الكافر ، ويحتمل أن يريد الفاسق ، وينبغي أن يعتقد أن دعوة المظلوم مستجابة ، ولا ينافيه عدم ظهور أثرها حالا ، لأنه تعالى ضمن الإجابة لدعائه في الوقت الذي يريد ، لا في الوقت الذي تريد . (فيض القدير : ٥٢٦/٣) .

(٢) سبق تخريجه صـ٦٨ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في المظالم (٢٤٦٦) ، ومسلم في السلام (٢٢٤٤) ، كما رواه أحمد (٨٨٧٤) ، وأبو داود في الجهاد (٢٥٥٠) ، عن أبي هريرة .

اللهم هيِّئ لنا من أمرنا رشدًا ، اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلَّ من ذلك ، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا ، واجعل غدنا خيرًا من يومنا ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

اللهم انصر إخوتنا في الشيشان (ثلاثًا) ، وانصر إخوتنا في فلسطين وفي لبنان ، وانصر إخوتنا في كشمير ، وانصر إخوتنا في الفلبين ، وانصر إخوتنا في كلِّ مكان .

اللهم اجمع كلمة المختلفين من المسلمين على الهدى والتُّقى ، اللهم أصلح ذات بينهم ، اللهم لا تكلهم إلى أنفسهم طَرْفة عين ولا أقلَّ من ذلك .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٧) .

وأذكِّر الإخوة بالتبرُّع للأضاحي في هذه الأيَّام قبل العيد لمنظمة الدعوة الإسلامية وجمعية قطر الخيرية وغيرها ، وذلك في ميزانكم حسنات ودرجات إن شاء الله .

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة:١٠٥) .

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٥) .

* * *

OBEIKAN.COM

(٩)
رعاية المُسنِّين[١]

الخطبة الأولى :

أما بعد ، أيها الإخوة المسلمون :

أعلنت منظَّمة الصحَّة العالمية هذا العام[٢] : (العام الدولي للمسنِّين) .

وقد دعتنا المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في الكويت لإقامة ندوة علمية فقهية ، شرعية طبية للحديث عن حقوق المُسنِّين والمُسنَّات في ضوء الشريعة الإسلامية[٣] .

وبحمد الله لم يوجد دينٌ عُنِيَ بحقوق الشيوخ وكبار السنِّ كما عُني هذا الدين .

عناية الإسلام بالإنسان في جميع مراحل عمره :

الدينُ الإسلاميُّ يُعنى بالإنسان ، يُعنى بالإنسان طفلاً ، ويُعنى بالإنسان صبيًّا ، ويُعنى بالإنسان شابًّا ، ويُعنى بالإنسان كهلاً ، ويعُنى بالإنسان شيخًا . إنه يمضي مع الإنسان في رحلة حياته كلِّها ، من المهد إلى اللحد ، من صرخة الوضع إلى أنَّة النزع . يُشرِّع لهذا الإنسان ويُوجِّهه في جوانب حياته كلِّها ، والله تعالى يقول لرسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل:٨٩).

---

(١) ألقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في رجب ١٤٢٠هـ الموافق نوفمبر ١٩٩٩م .

(٢) أي العام الميلادي (١٩٩٩) .

(٣) عقدت الندوة في الفترة من ٩-١٢ رجب ١٤٢٠هـ الموافق ١٨-٢١ أكتوبر ١٩٩٩م . وقد شارك سماحة الشيخ القرضاوي ببحث عنوانه : (حقوق الشيوخ والمسنّين في ضوء شريعة الإسلام).

OBEIKAN.COM

الشيخوخة مرحلة طبيعية من مراحل حياة الإنسان :

ولذلك عُني الإسلام بمرحلة الشيخوخة ، ومرحلة الشيخوخة مرحلة طبيعية من مراحل حياة الإنسان ، أشار القرآن إليها حينما قال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ﴾ (غافر:٦٧) ، فأشار إلى المرحلة الجنينية ، والمرحلة الطفولية ، ومرحلة بلوغ الأُشدِّ ، وتشمل : مرحلة الشباب والكهولة . ثم مرحلة الشيخوخة ، ﴿ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ﴾ .

هكذا لا بدَّ أن يصل الإنسان ـ إذا لم يدركه الموت في الصِّغر ـ إلى الشيخوخة .

الشيخوخة مرحلة ضعف :

والشيخوخة مرحلة ضعف ، فإن السنين تعمل عملها في الإنسان كما تعمل عوامل التَّحاتِّ والتَّعرية في الأرض ، وفي المادة ، وفي الحياة الطبيعيّة ، كذلك مُضيِّ السنين والأعوام يعمل في الإنسان ، فيَضْعف بعد قوَّة ، وتقلُّ حواسُّه من السمع والبصر ، ويضعف إدراكه ، ويعتمد على عُكَّاز بعد أن كان يمشي على رجليه سليمتين ، كما قال الشاعر قديمًا :

وكنتُ أمشي على رجلين معتدلاً ... فصرتُ أمشي على أخرى من الشجر

هذه سُنَّة الحياة .

أشاب الصغيرَ وأفنى الكبيرَ ... كرُّ الغداة ومرُّ العشيِّ

ويقول الآخر :

طول الليالي أسرعت في نقضي ... نَقَضْن كلّي ونَقَضْن بعضي

هذه سُنَّة الله : أن يشيب الصغير ، ويفنى الكبير ، ويضعف القويُّ ، ويمرض الصحيح ، يقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ (الروم:٥٤) ، ضعف الطفولة ، ثم قوَّة الشباب ، ثم ضعف الشيخوخة وشيبتها ، هذه مراحل لا بدَّ أن يمرَّ بها الإنسان ، إذا كتب له أن يعمَّر .

مرحلة أرذل العمر :

ومن الشيخوخة مرحلة متأخِّرة سمَّاها القرآن : أرذل العمر : ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ (الحج:٥) . أرذل العمر كما قال ابن عباس : أردؤه . بحيث يصبح كالصبيِّ الصغير ، يحتاج إلى غيره في كلِّ الأشياء أو معظم الأشياء . والنبيُّ عليه الصلاة والسلام استعاذ بالله من أمور خمسة ، قال : « اللهم إني أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجُبْن ، وأعوذ بك أنْ أُردَّ إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر »[1] . استعاذ بالله أن يُردَّ إلى أرذل العمر ، فينسى بعد تذكُّر ، ويضعف بعد قوَّة ، ويصبح كَلاًّ على غيره ، حين تصيبه أمراض الشيخوخة القاسية ، فهذا مما يُستعاذ بالله تعالى منه .

الإنسان إذا بلغ من الكِبَر عتيًّا ضعُف واحتاج إلى غيره ، وقد عبَّر عن ذلك نبيُّ الله زكريا حينما قال : ﴿ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (مريم:٤).

هذه طبيعة الإنسان : أن يَهِنَ عظمه ، وتضعف قوَّته وحيلته ، ويفتقر إلى معونة غيره ، بعد أن كان هو الذي يُعين غيره ، ويعول أولاده ، ويفكر لهم في مستقبلهم ، أصبح في حاجة إلى معونة أولاده في كل شيء ، في مأكله ومشربه ، وملبسه ، ومرقده ، حتى يحتاج أحيانا إلى مَنْ يعينه في قضاء حاجته البشرية ! .

حقوق المُسنِّين :

هنا يوجب الإسلام لهذا الإنسان الضعيف حقوقًا مُؤكَّدة : حقوقًا مادية ، وحقوقًا أدبية .

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٦٥) ، وأحمد (١٥٨٥) ، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٤٥) ، عن سعد بن أبي وقاص .

أولاً : الحقوق المادية :

مِنْ حقِّ هذا الإنسان أن يعيش مكفول الحاجات الماديَّة ، لا بدَّ أن يُوفَّر له مطعمه ، ويُوفَّر له مشربه ، ويُوفَّر له ملبسه ، ويُوفَّر له مسكنه ، وتُوفَّر له أدويته ، وكلُّ ما يحتاج إليه ، هذه الأمور لا بدَّ أن تُوفَّر له .

الحقوق المادية واجبة على الأسرة :

وأول مَن ينبغي أن يُوفَّر له هذا ، هو أسرته ، وأولاده ، فله حقٌّ عليهم . كما أنه ربَّاهم صغارًا ، يجب أن يكفلوه وهو كبير ، فهذا حقٌّ من حقوق الله تعالى على الأولاد ، ومن حقوق الوالدين على أولادهم ، لا يجوز لهم أن يُفرِّطوا فيه بوجه من الوجوه ، ولا أن يمتنُّوا على آبائهم ولا أمهاتهم بهذا ، فهذا حقٌّ مؤكَّد .

ولذلك لم يُجِز الفقهاء أن يعطي الإنسان زكاته لأبيه وأمه ، لماذا؟ لأن نفقتهم واجبة عليه ، فكأنما يعطي لنفسه ، هؤلاء جزء منك . جزء من أسرتك . لا يجوز لك أن تعطي الزكاة لابنك ، ولا يجوز لك أن تعطيها لأبيك .

وحينما ذهب أحد الأولاد إلى النبي ﷺ يشتكي له أن أباه يريد أن يجتاح ماله ـ كأنَّ أباه قد أكثر عليه ، ويريد أن يأخذ من أصل المال لا من فضل المال ـ قال له النبيُّ ﷺ : « أنت ومالك لأبيك »[1] . إذا احتاج فأنت ومالك لأبيك .

وعندما يصاب الإنسان في شيخوخته ـ أبا كان أو أما ، جدا كان أو جدة ـ بأمراض الشيخوخة الخطيرة ، التي تُعيد الإنسان طفلا ، لا يكاد يعرف من حوله ، ولا أولاده وأحفاده ، أنفسهم كما في المرض الذي يعرف باسم (الزهيمر) ، وهنا يحتاج المريض إلى رعاية بالغة ، وقد يحتاج إلى ممرض دائم معه .

هذا ما يُقرِّره الشَّرع الحنيف في هذه القضية .

---

(١) رواه ابن ماجه في التجارات (٢٢٩١) ، والطبراني في الأوسط (٣٥٣٤) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٥٨/٤) ، وصححه الألباني في الإرواء (٨٣٨) ، عن جابر بن عبد الله .

OBEIKAN.COM

الحقوق الماديَّة واجبة على المجتمع :

وإذا لم يكن الأولاد قادرين ، فعلى المجتمع أن يَسُدَّ هذه الحاجة . الإسلام يجعل أهل كلِّ حيٍّ ـ أو أهل كلِّ قرية أو أهل كلِّ عَرْصة ـ متكافلين فيما بينهم ، يأخذ القويُّ بيد الضعيف ، ويصبُّ الغنيُّ على الفقير ، ويحمل المسلمون بعضهم بعضًا ، فكأنهم أسرة واحدة :« ما آمن بي مَن بات شبعانًا ، وجاره جائع إلى جنبه ، وهو يعلم»[1]، « وأيُّما أهل عَرْصة ـ أي : ساحة ـ أصبح فيهم امرؤ جائع ، فقد برئت منهم ذمَّة الله »[2].

وإذا لم يكفِ ذلك يُؤْخذ من موارد الدولة . موارد الدولة قد تكون من الزكاة ، قد تكون من خُمس الغنائم ، قد تكون من الفيء ، قد تكون من الخَرَاج ، قد تكون أملاك الدولة . ممَّا يفيء الله عليها من باطن الأرض ، من البترول ، من الذهب ، من المعادن ، من أشياء أخرى تملكها ، من ضرائب التكافل وغيرها . . . كلُّ هذا لهؤلاء الشيوخ الضعفاء حقٌّ فيه ، ولا يجوز أن يذهب هذا الحقُّ ، ولا أن يضيع أبدًا في أمة مسلمة .

تطوُّر هذه الحقوق بتطوُّر الزمن :

الشيوخ لهم حقوق مُؤكَّدة ، وهذه الحقوق تَتَطوَّر بتطوُّر الزمان . ربما في الزمن الماضي لم يكن الإنسان المسنُّ في حاجة إلى ما يحتاج إليه في عصرنا ، مثلاً في

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢) ، وأبو يعلى (٢٦٩٩) ، والطبراني (١٥٤/١٢) ، والبيهقي في الضحايا (٣/١٠) ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٤٣/٣) ، والهيثمي في المجمع (٣٠٦/٨) : رواه الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات ، وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٢) ، عن ابن عباس .

(٢) رواه أحمد (٤٨٨٠) ، وقال مخرجوه : إسناده ضعيف لجهالة أبي البشر ، وأبو يعلى (٥٧٤٦) ، والحاكم في البيوع (١٢/٢)، وقال : خرجته وإن لم يكن من شرط الكتاب احتسابًا لما فيه الناس من الضيق . وقال الذهبي : عمرو بن الحصين العقيلي : تركوه ، وأصبغ بن زيد الجهني : فيه لين، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٦٣/٢) : وفي هذا المتن غرابة وبعض أسانيده جيدة ، عن ابن عمر .

OBEIKAN.COM

عصرنا يحتاج إلى مكيِّف ـ خصوصًا في بلاد الخليج ـ فيلزم أن نهيئ له مكيِّفًا ، وإذا احتاج إلى ثلاجة لا بدَّ أن نُهيِّئ له ثلاجة . في عصرنا أصبح هناك شيء اسمه : الكرسيُّ المتحرِّك ، كي يستطيع هذا المسن العاجز عن المشي أن يتحرَّك ، فيهيَّئ له هذا الكرسيُّ .

أرى الغربيين ـ في الحقيقة ـ اهتمُّوا بالمعُوقين من البشر في كلِّ ناحية من النواحي : في مواقف السيَّارات ، في الحمّامات ، في المطارات ، في كلِّ شيء عندهم يحسب حساب هؤلاء المعوقين ، وكيف يتحرَّكون دون عائق يعوقهم ، وهذا ما يوجبه الإسلام علينا .

ثانيًا : الحقوق الأدبية :

الإسلام لا يوجب علينا أن نرعى حقوقهم المادية فقط ، بل حقوقهم الأدبية أيضًا ، فالمسنُّ يحتاج للحقوق المعنوية أكثر من حاجته للماديات .

توفير الجو الاجتماعي :

بعض الناس يظنُّ أنَّ أباه يحتاج إلى أن يأكل ويشرب فقط ، فيضعه في بيت المُسنِّين ، أو العَجَزة كما يُسمُّونهم ـ وهذه تسميةٌ خاطئةٌ ، ولا يجوز أن نُسمِّيهم بها ، ولكنْ : كبار السنِّ أو الشيوخ أو نحو ذلك ـ فإذا وضعه في هذه الدور ، شعر بأنه أدَّى ما عليه ، لا يا أخي ، الإنسان له أشواق ، وطموحات ، وحقوق أدبية .

من حقِّ الأب ، ومن حقِّ الجدِّ : أن يعيش مع أولاده ، ويعيش مع أحفاده ، ويسمع الأحفاد حكايات جدِّهم ويتعلَّموا من تجاربه ، ويُؤْنسهم ويُؤْنسونه . أما أن ترميه في المَصَحَّة أو في دار العجزة أو المُسنِّين وتقول : أدَّيت ما عليَّ . فهذا لا يعرفه الإسلام .

الوصية بالوالدين في حالة بلوغ الكبر :

الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (الإسراء:٢٣،٢٤) ، القرآن وصَّى بالوالدين بصفة عامَّة ، وخصَّ

هذه الحالة ـ حالة بلوغ الكبر ـ بالذكر ، وقال : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ (الإسراء:٢٣) ، عندك ، في بيتك ، في دارك ، وليس في المصحَّة .

نهيان وثلاثة أوامر :

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ (الإسراء:٢٣) ، هذان نهيان :

١- النّهيُ عن ﴿ أُفٍّ ﴾، عن مُجَرَّد التأفُّف ، التَّضجُّر ، سواء كان بالكلام كأن تقول : أفٍّ ، أو بالنَّفَس ، فمجرَّد النفخة هذه حرام . بعض السلف يقولون : لو كان هناك شيء أقل من ﴿ أُفٍّ ﴾ لحرَّمه الله .

٢- ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ ، لا تكلِّمهما بعنف .

ثم قال : ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء:٢٤) ، فنهى عن أمرين ، وأمر بثلاثة أمور :

١- ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾، القول الكريم هو القول اللّين ، القول الحسن ، كأن يقوله له : يا أبتِ ، كما رأينا سيدنا إبراهيم يقول لأبيه وهو مشرك : ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ۝٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ (مريم:٤٢-٤٥) .

٢- ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ ، الله تعالى قال لرسوله : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(الشعراء:٢١٥)، ولكن هنا قال : ﴿ جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴾ ، ليس مُجرَّد خفض جناح ، ولكنه جناح الذلّ . ولم يمدح الله الذلَّ في القرآن إلا في موضعين : هذا الموضع ، وموضع آخر حينما قال : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (المائدة:٥٤) ، ذلُّ الإنسان لأبويه ، وذلُّ الإنسان لأخيه المؤمن .

٣- ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾، ادع لهما أن يرحمهما الله في حياتهما وبعد موتهما . وكان بعض السلف إذا ذهب إلى أمه صاح بأعلى صوته : السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا أمتاه ! تقول : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . يقول : رحمك الله كما ربيتني صغيرًا . فتقول : يا بنى ! وأنت ، فجزاك الله خيرًا ورضي عنك ، كما بررتني كبيرًا[١] . انظر إلى هذه العلاقة الطيِّبة الحسنة .

على الإنسان أن يرعى هذه العلاقة .

الإحسان إلى الأبوين سببٌ للمغفرة :

يستطيع الإنسان أن يكسب المغفرة ، وأن يربح الجنَّة ، إذا أحسن إلى أبويه أو أحدهما في حالة الكبر . جاء عن النبيِّ ﷺ قوله : « رغم أنفه[٢] ، ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه » . أي : ذلَّ ، وذلَّ ، وذلَّ . قيل : مَنْ ، يا رسول الله؟ قال : « مَن أدرك وأبويه عند الكبر ، أَحَدَهما أو كليهما فلم يدخل الجنَّة »[٣] . لم يتوصَّل إلى الجنّة من خيبته ، ضيَّع الجنَّة ، وكان يمكن أن يكسبها ببرِّ والديه في هذه الحالة .

روى البزَّار ، أنّ رجلاً كان يطوفُ بالكعبة وهو يحمل أمَّه على كتفه ، فرآه النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، هل أدَّيْتُ حقَّها ؟ فقال ﷺ : « لا ، ولا بزَفْرة واحدة »[٤] . أي : حَمْلُك لأمِّك هذا لم يُؤَدِّ حقَّ زفرة واحدة من زفرات الطلق ، وآلام الوضع .

وجاء رجل إلى عمر رضي الله عنه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لقد بلغ برِّي بأمّي ، أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطيَّة ـ أحملها إلى المرحاض كما كانت تفعل بي في صغري ، فأنا أؤدِّي إليها ما كانت تؤدِّي إليَّ ـ هل وفَّيتُ حقَّها؟ فقال عمر :

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٤) ، وحسن إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (١١) .

(٢) أي : لصق بالرغام ، وهو التراب .

(٣) رواه مسلم في البرّ والصلة (٢٥٥١) ، وأحمد (٧٤٥١) ، والبخاري في الأدب المفرد (٢١) ، والترمذي في الدعوات (٣٥٤٥) ، عن أبي هريرة .

(٤) رواه البزار (٤٣٨٠) ، وذكره الحافظ ابن كثير بسند البزار في تفسيره (٣٥/٣) ، وقال : فيه الحسن ابن أبي جعفر .

لا ، إنها كانت تفعل بك ذلك وتتمنَّى لك عُمُرًا طويلاً ، وأنت تفعل بها ذلك وأنت تترقَّب موتها غدًا أو بعد غد[1]. فرق بين الأمرين .

الحقُّ الأدبيُّ على الإنسان : أن يرعى أبويه ، ليس مُجَرَّد رميه في المَصَحَّة . المَصَحّات لا بدَّ منها ، لأنّه قد يوجد من الناس مَنْ لا عائلة له ، وقد يوجد ابن فقير لا يستطيع أن يحتوي أباه في بيته ، بيته من حجرتين فماذا يفعل هذا المسكين؟ هذا يذهب بأبيه إلى المصحَّة ، ومع هذا فلا بدَّ لهذا الأب أن يزور بيت أولاده ما بين الحين والحين ، ولا بدَّ أن يزوروه .

وهناك في بعض البلاد تُقام أندية للمسنِّين ، يقضون نهارهم في هذه الأندية بعضهم مع بعض ، ثم يعودون إلى البيت في المساء ، حيث يذهب الجميع في النهار ـ وخصوصًا في عصرنا ـ إلى أعمالهم ، الابن يعمل ، وزوجة الابن تعمل ، والأولاد في المدارس ، ويبقى الرجل المسكين وحده ، فحياته موحشة ؛ فلذلك أقاموا أندية للمُسنِّين ، هذا لا بأس أن نقيمه في بلادنا ، وفي مجتمعاتنا .

الإسلام لا يمنع من إقامة مثل هذه الدُّور ، لتقوم بحقِّ هؤلاء الشيوخ الكبار ، والمُسنَّات من النساء أيضًا ، هذا واجبنا ـ أيها الإخوة ـ وواجب المجتمع أن يعين في ذلك أيضًا .

توقير الكبار قيمة إسلامية :

واجب المجتمع أن يُوقِّر الكبار ، وأن يُؤدِّي إليهم حقَّهم ، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام يقول : «ليس منا مَنْ لم يُجِلّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقَّه»[2] . فرحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، واحترام العالم ، قِيَم إسلامية أصيلة ، لا يجوز أن تُفقد هذه القيم ، وتصل إلينا قيمٌ أخرى غريبة عن هذه المجتمعات ،

---

(١) رواه ابن وهب في جامع الحديث (٩٠) .

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٥٥) ، وقال مخرجوه : صحيح لغيره دون قوله : «ويعرف لعالمنا حقه» . والطحاوي في مشكل الآثار (٣/٣٦٥) ، والحاكم في العلم (١/١٢٣) ، وقال : ومالك بن خير الزيادي مصري ثقة ، وأبوقبيل تابعي كبير ، وقال الذهبي : مالك ثقة مصري ، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١/٦٤) ، عن عبادة بن الصامت .

يرى الرجلُ فيها الشيخ الكبير فلا يعينه ، يركب الشيخ الباص ـ أو الأوتوبيس ـ وهو يحتاج إلى مَن يجلسه ، ويظلُّ الشابُّ جالسًا في مكانه . هذه قيم غريبة عن هذه المجتمعات .

المجتمع المسلم يوقِّر الكبير ، وكما قال الحديث الذي رواه الترمذي : « ما أكرم شابٌّ شيخًا لسنِّه ، إلا قيَّض الله له مَن يكرمه عند سنِّه »[1] . إذا أكرمتَ شيخًا وأنت شابٌّ ، جزاك الله من جنس عملك فهيَّأ لك وأنت شيخ مَنْ يكرمك ، وأنت في حاجة إلى الإكرام .

هذه الأمور كما يقول الناس : سَلَف ، البرُّ سَلَف ، والعقوق سَلَف : « برُّوا آباءكم تبرُّكم أبناؤكم »[2] ، وهكذا .

الإسلام يرعى هؤلاء المُسنِّين حقَّ الرعاية .

المسنُّ يعيش وحده في الحضارة الغربية :

لا يجوز لنا ـ أيها الإخوة ـ أن تنتقل إلينا عدوى الغربيين ، الذين تفكَّكت أُسرهم ، فلا يكاد الابنُ يعرف أباه أو أمَّه بمجرَّد أن يبلغ الحُلُم . إذا بلغ الشابُّ ستة عشر عامًا أصبح حبلُه على غاربه ، وبحث له عن صديقة ، وبحثت الفتاة عن صديق ، ولا يكاد أحدهما يعرف أمَّه أو أباه ؛ ولذلك احتاجوا إلى أن ينشئوا عيدًا للأمِّ ، وعيدًا للأب . يومًا في العام ، يتذكَّر الواحد منهم أنَّ له أبًا أو أمًّا! وماذا يفعل؟ لعله يرسل إليه بهديَّة ، يرسل إلى أمِّه بزجاجة عطر أو نحو ذلك! هل هذه حياة؟ ولهذا يعيش أحدهم في شيخوخة مُوحشة ، الشيخوخة هناك مُوحشة أشدَّ الإيحاش ، لأن الإنسان يعيش وحده ، لا يتمتَّع فيها بابن ولا بنت ، ولا حفيد ولا حفيدة .

---

(١) رواه الترمذي في البرّ والصلة (٢٠٢٢) ، وقال : هذا حديث غريب ، والطبراني في الأوسط (٥٩٠٣) ، والبيهقي في الشعب باب رحم الصغير وتوقير الكبير (١٠٩٩٣) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠١٢) ، عن أنس بن مالك .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١٣٤٠٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٧/٨) : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني أحمد غير منسوب ، والظاهر أنه من المكثرين من شيوخه فلذلك لم ينسبه .

OBEIKAN.COM

الإسلام لا يرضى بهذه الحياة .

حدَّثني بعض الإخوة : أنهم كانوا يجاورون امرأة عجوزًا في أمريكا ، بعد أيَّام افتقدوها ، لم يعودوا يسمعون لها صوتًا ، أو يَرَوْن لها وجهًا ، فأبلغوا الشرطة ، دخلت الشرطة شقَّة هذه المرأة وفتحتها ، فوجدت المرأة (رِمَّةً) متعفِّنة ، ماتت من عدَّة أيَّام ، ولا يعرف أحدٌ بموتها . وبحثوا فوجدوا لها أبناء وبنات ، وأحفادًا وحفيدات في مناصب محترمة ، ولكنهم تركوها وحدها . ماتت ، ولعلها كانت تحتاج إلى شربة ماء ، علَّها كانت تحتاج إلى حبَّة دواء تنقذها ، ماتت ولم تجد مَن يجلس بجوارها في الساعة الأخيرة واللحظات الأخيرة .

أيُّ حياة هذه الحياة التي يحياها الناس؟

لهذا احتاج الناس في تلك الديار إلى اقتناء الكلاب والقطط! لأنهم وجدوا الكلاب أكثر وفاء من الإنسان ، الكلب أحسن من ابنك الذي يتركك ولا يسأل عنك ، والكلب يلزمه ويتبعه ويفي له .

لا يجوز لنا ـ أيها الإخوة ـ أن نمشي وراء هذه المجتمعات ، ونفقد خصائصنا الذاتية ومقوِّماتنا الذاتية والحضارية ، ونمشي وراءهم شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلناه ، والعياذ بالله .

حاجة المسنِّين إلى أسرة :

علينا أن نرعى هؤلاء المُسنِّين والمسنَّات ، وأن نحتضنهم في ديارنا ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً .

بعض البلاد تُبقي الآباء عند أبنائهم وأحفادهم وتدفع لهم هي ـ أو الجمعيات الخيرية ـ معونات ، وتقول لهم : خلُّوا هؤلاء عندكم . حتى مَن ليس له أسرة تجعله عند أسرة من الأسر وتدفع معونة لهذه الأسرة ، لأن الإنسان في حاجة إلى أن يعيش في أسرة ، الأسرة ليست مُجرَّد مكان أو مسكن ، إنها حاجة نفسية ، وحاجة اجتماعية ، لا يستطيع الإنسان أن يستغني عنها

OBEIKAN.COM

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقِّهنا في ديننا ، وأن ينير بصائرنا ، وأن يُهيِّئ لهذه الأمة من أمرها رشدا ، إنه سميع قريب .

أقول قولي هذا ـ أيها الإخوة والأخوات ـ وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

الخطبة الثانية :

أما بعد ، فيا أيها الإخوة :

يحتار الإنسان ، وينقطع نياط قلبه ، وتتفتَّت كبده ألمًا وحسرة ، على ما يحدث للمسلمين في كلِّ مكان .

ماذا أحدِّثكم أيها الإخوة؟ عن أيِّ القضايا أحدِّثكم وهي كثيرة؟

القضية الأولى : قضية الشيشان :

أأُحدِّثكم عن قضية إخوتنا في الشيشان ، الذين يتعرَّضون لغزو جهنَّمي ظالم ، عدوانيٍّ أثيم ، من تلك القوَّة المتجبِّرة ، التي أذلَّها الله تبارك وتعالى ، وأخرجها من حَلْبة الصراع العالميِّ؟

سقط الاتحاد السوفيتي ، وخرج من حلبة الصراع ، وترك الميدان لأمريكا ، ولكن هؤلاء الروس ـ ورثة السوفييت ـ يتجبَّرون على الضعفاء من الناس ، يتجبَّرون على دولة الشيشان ، يريدون أن يخضعوها لإرادتهم حتى تركع أمامهم ، وتستسلم لأوامرهم .

ورغم أن دولة الشيشان دولة مسلمة شهدت (أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله) ، إلا أنَّ هؤلاء يريدون أن يُخْضعوا لهم مَن ليس من دينهم ، وليس من جنسهم ، وليس من وطنهم .

هؤلاء الشيشانيون ليسوا من الروس بل هم من القوقاز ، وليسوا من الشعب الروسي بل الشعب القوقازي ، وليسوا نصارى بل هم مسلمون . فعلى أيِّ أساس يريدون أن يُخضعوا هؤلاء؟

وقد جرَّبوا حظَّهم معهم منذ سنوات ، ولم تستطع القوَّة الروسية المستكبرة في الأرض بغير الحقِّ ، لم يستطع هؤلاء الذين طغَوْا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد :

OBEIKAN.COM

أن يُذلُّوا الشيشان ، وأن يُرغموا الشيشان على قَبول إرادتهم . وقف الشيشانيون أبطالاً صامدين كالجبال الشمِّ الرواسخ ، لم تُزحزحهم العواصف ، واضْطرَّ الروس إلى أن يعودوا مقهورين مدحورين .

اليوم تريد روسيا أن تُجرِّب حظَّها مرَّة أخرى . لقد هدَّت (جروزني) ، وهدَّت الشيشان ، هدَّمت المساجد ، وهدَّمت المدارس ، وخرَّبت المصانع ، وتركت الأرض محروقة وراءها ، ومع هذا لم يستسلم الشيشانيون ، ولم يركعوا ، لأنهم تعلَّموا أن لا يركعوا إلا لله ، وأن لا يسجدوا إلا لله ، وأن لا يُعفِّروا جبهتهم إلا لله ساجدين . رفضوا وقالوا : لا .

اليوم تعود روسيا لتُجرِّب حظَّها مرةً أخرى ، لماذا؟ قالوا : لمحاربة الإرهاب! أيُّ إرهاب هذا؟ قلتم : الإرهاب في داغستان . الآن الأمر استتبَّ في داغستان . هل هو إرهاب حقًّا؟ إنَّ الإرهابيَّ الآن هم هؤلاء الروس ، يشاركون (إسرائيل) الإرهابيَّ الأكبر في العالم ، وإسرائيل أصابعها معهم . فتِّش عن إسرائيل وفتِّش عن الصهيونية في كلِّ ما يحدث في العالم ، تجد أصابع الصهيونية وأيدي إسرائيل هناك .

هذه حقيقة يجب أن لا ننساها .

إخوتنا في الشيشان يقاتلون ، ويصمدون ، ولم يقبلوا الاستسلام .

المشكل : أين العالم؟ أين هيئة الأمم المتحدة؟ أين أمريكا؟ نسمع استنكارات خافتة أو دعوات ليس فيها قوَّة . لماذا لم تتحرَّكوا كما تحرَّكتم من قبل في يوغسلافيا ، وفي كوسوفا .

وأين العالم الإسلاميُّ؟ لماذا لم يتحرَّك الناس؟ لماذا لم نسمع كلمة استنكار صارخة قوية تقول : لا ، هذا بلد مسلم ، لا يجوز لكم أيها الروس أن تعتدوا على أهله؟ رأينا صمتًا كصمت القبور .

أَلهذا الحد نجامل الروس على حساب إخوتنا؟ تُنتهك الأعراض والحُرُمات ، وتُدمَّر البلاد ، ويُقتل العباد ، وتُزهق الأرواح ، وتُسْفَك الدماء ، ونحن صامتون؟

OBEIKAN.COM

لو أنَّ بلاد المسلمين وحكَّام المسلمين قالوا : لا . والله لوقف الروس ولاستحيوا وخجلوا . ولكن لم يقل لهم أحد : قفوا ، هذا لا يجوز .

لم هذه المجاملات إلى هذا الحدِّ؟

أأصبح الدم الإسلاميُّ رخيصًا إلى هذا الحدِّ ، بحيث يُسفك ، وتُزهق الأرواح ، ولا يتكلَّم أحد ، ولا يحتجُّ أحد ، ولا يستنكر أحد؟

أين أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها؟

أين المؤتمر الإسلاميّ ومنظّمة المؤتمر الإسلاميّ؟

أين الجهات والجمعيات والمؤسسات المختلفة هنا وهناك؟

لم نرَ أحدًا تحرَّك ، إلا مظاهرة قرأنا عنها وشاهدناها في التلفاز ، قامت في الأردن ـ لأنَّ هناك شاشانيين من قديم ، وشارك فيها الإسلاميون أيضًا ـ تحتجُّ على ما يجري لإخوتنا في الشيشان .

ونحن نقول لإخوتنا في الشيشان : اصبروا وصابروا ، ورابطوا ، والله تعالى معكم ، ولن يَتِرَكُم أعمالكم . والشعوب الإسلامية معكم ، وإن كانت لا تملك من أمرها شيئًا للأسف ، ولكن هذه القلوب بحرارتها ، وهذه الألسنة التي تهتف بالدعاء ، لن تتخلَّى عنكم أبدًا .

والله سبحانه وتعالى وملائكته وجنوده يُؤيِّدونكم ، ويَشدُّون أزْرَكُم : ﴿ **وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ (الفتح:٧) ، ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** ﴾ (المدثر:٣١) .

القضية الثانية : قضية فلسطين :

أأُحدِّثكم أيها الإخوة عن الشيشان ، ومأساة الشيشان؟ أم أحدِّثكم عن القضية التي لا ينتهي الحديث عنها أبدًا : قضيّة المسلمين الأولى ، قضية القدس ، والمسجد الأقصى ، وأرض النبوَّات ، أرض الإسراء والمعراج ، ونحن الآن في ذكرى الإسراء والمعراج؟

أأحدِّثكم عن هذه القضية وما يُحاك لها من مؤامرات ، وما يُبيَّت لها من تدبير؟ نرى القضية لا تتقدَّم خطوة إلى الأمام إلا بتنازلات ، تنازلاً وراء تنازل ، إلام نتنازل؟ وحتى متى نتنازل؟

كنا نقول في أول الأمر : إسرائيل كيانٌ قائم على العدوان والاغتصاب ، لا مكان له في أرضنا ، ولا وجود له ، ولا يستحقُّ البقاء . حتى حدثت نكبة (٥ حزيران ـ أو ٥ يونيو - سنة ١٩٦٧م) ، فانقلبت السياسة العربية ظهرًا على عَقِب ، وقالوا : إننا الآن نسعى إلى إزالة آثار العدوان ـ أي العدوان الجديد (عدوان ٦٧) ، أما (عدوان ٥٦) و(عدوان ٤٨) فقد أُضفيت عليه الشرعية ـ ونريد أن تعود الحدود إلى ما كانت عليه قبل ٥ يونيو ٦٧ .

ويا ليتنا وقفنا عند هذا ، بل رضينا بما دونه ، وكانت محادثات ومفاوضات (مدريد) التي انتهت إلى (اتفاق أوسلو) ، ولم يقبلوا تنفيذ (اتفاق أوسلو) ، فعقدوا اتفاقًا تنازلوا فيه عن (اتفاق أوسلو) وهو (اتفاق وايريفير) . ولم يقبلوا أن ينفِّذوا (اتفاق وايريفير) ، فعقدوا اتفاقًا آخر في (شرم الشيخ) ، والآن لا يقبلون تنفيذ (اتفاق شرم الشيخ) .

هم لا يُنفِّذون ، ونحن نُنفِّذ ما تريد إسرائيل . إسرائيل تأمر ونحن نطيع ، تفرض ونحن نُسلِّم ، تطلب ونحن ننفِّذ . ومع هذا نُهرول هنا وهناك ، نهرول وراء إسرائيل ، وإسرائيل تعبث بالمنطقة ، حتى قال ـ بالأمس ـ قائد شرطة دبي : إن الموساد يريد أن يعبث باقتصاد دولة الإمارات ليهزَّها هزًّا ، ويحدث هزَّات اقتصادية فيها وفي دول الخليج ، ليرغمنا على التطبيع مع إسرائيل .

هذا ما تفعله إسرائيل .

ومن عَجَب ـ أيها الإخوة ـ أن نرى دولة عربية هناك عند المحيط الأطلسي تطوِّر علاقاتها مع إسرائيل إلى حدِّ تبادل السفراء!! أي : أن يكون هناك سفير إسرائيلي في موريتانيا ، ولموريتانيا سفير في تل أبيب!

ما دَخْلك يا موريتانيا ، وأنت بعيدة عن مناطق الصِّراع؟ ولكن إسرائيل تلعب هنا وهناك ، كانت تلعب قبل ذلك على الحلقات القوية : مصر والمغرب وغيرها ، الآن تريد أن تلعب على الحلقات الضعيفة ، تبحث عن أضعف الحلقات لتُؤثِّر فيها ، وتسخِّرها لإرادتها .

OBEIKAN.COM

كيف يقبل بهذا بلد عربيٌّ مسلم ، ولا زالت المفاوضات سائرة ، ولا زالت إسرائيل ترفض أدنى الحقوق؟

علام يتفاوض الفلسطينيون مع إسرائيل؟ على كم من أرض فلسطين ، وأي نسبة من أرض فلسطين يتفاوضون عليها؟ وأين الدولة التي يُراد إقامتها؟ ومن المتحكِّم في هذه الدولة ، وفي أمنها ، وفي ممرَّاتها وفي سمائها ، وفي مياهها؟ إسرائيل هي المُتحكِّمة في هذا كلِّه .

ثم تأتي دولة عربية لتقيم لها سفارة في تل أبيب ، وإذا قالت إسرائيل بعد ذلك : إنَّ القدس هي عاصمتها . تنتقل السفارات إليها ، ويصبح سفير موريتانيا لدى إسرائيل في القدس! هذا أمر عَجَب ، ولكن الأمة إذا هانت ـ إلى هذا الحدِّ ـ رأينا مِنْ هؤلاء مَنْ يخون أمَّته ، ويخون دينه ، ويخون مواقفه ، ويفعل هذه الأفاعيل .

وأأسفاه على هذه الأمة .

وأأسفاه على هؤلاء الحكَّام الذين يُهرولون بعضهم وراء بعض لإرضاء إسرائيل ومَنْ وراء إسرائيل . خاب سعيكم ، وضلَّ عملكم أيها الحمقى المغرورون ، ستجنون والله في الدنيا والآخرة جزاء ما صنعتم ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يترك هؤلاء دون أن يعاقبهم : ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم:٤١).

يا أيها الإخوة : هذه مصيبتنا نحن العرب والمسلمين ، مصيبتنا في الفجوة بين الشعوب والحكَّام . الشعب الموريتاني لا يرضى بهذا ، ولكن الحُكَّام هم الذين يُبرمون الأمور ، والشعوب لا تستطيع أن تفعل شيئًا .

ويُقضى الأمر حين تغيب تَيْمٌ ... ولا يُستأذنون وهم شهود

عباد الله ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب:٥٦) .

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٥) .

* * *

OBEIKAN.COM